

مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

العدد الثالث - شوال - ذو الحجة ١٤٢٣ هـ - ديسمبر - فبراير ٢٠٠٣ م



- مسألة مضاعفة الصلوات في المساجد الثلاثة هل تقع في النوافل ؟
- محدث الحرمين عمر بن حمدان المحرسي
- المدينة المنورة في عيون الشعراء
- وصف المدينة عام ١٢٣٠هـ لبركهارت
- المجالس الثقافية المعاصرة في المدينة المنورة
- بدايات الحياة العلمية والأدبية للمرأة في المدينة المنورة
- ملامح النهضة الصناعية بمنطقة المدينة المنورة



بدايات الحياة العلمية والأدبية للمرأة في المدينة المنورة

د. نجاح بنت أحمد الظهار

أستاذ البلاغة المشارك بكلية التربية للبنات
فرع جامعة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة

تمهيد لا يوجد دينٌ أو قانون على وجه الأرض ، أكرم المرأة وأعطاهما حقوقها كاملة كدين الإسلام ، فلو تتبنا حياة المرأة عند الأمم قديمها وحديثها ، للمسنا يقيناً العزة والمكانة التي تتمتع بها المرأة المسلمة .

فمن سماحة الإسلام وتكريمه لها ، أنه لم يفرق بين تعليمها وتعليم الرجل فجعل (طلب العلم فريضة على كل مسلم)^(١) .

وأدلة تعليم المرأة الكتابة كثيرة في السنة المطهرة ، ورواتها ثقة ، ومن ذلك الحديث الذي رواه الشفاء بنت عبد الله ، حيث قالت : (دخل علي النبي ﷺ وأنا عند حفصة ، فقال : ألا تُعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة)^(٢) .

وقد اهتم المصطفى ﷺ بتعليم النساء ، وأولاه عنايته ، حيث سألت النساء النبي ﷺ أن يجعل لهن يوماً يعلمهن فيه ، فأجابهن لذلك (فعن أبي سعيد الخدري قال : قالت النساء للنبي ﷺ : غلبنا عليك الرجال ، فاجعل لنا يوماً من نفسك ، فوعدهن يوماً يلقهن فيه ، فوعظهن وأمرهن ، فكان فيما قال لهن : ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها ، إلا كان لها حجاباً من النار ، فقالت امرأة : واثنين ، فقال : واثنين)^(٣) .

(١) صحيح سنن ابن ماجة ، الألباني ، باب فضل العلماء ، والحث على العلم : ٤٤/١ رقم الحديث ١٨٣ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن الشفاء ، انظر : مسند الإمام أحمد ، حديث الشفاء بنت عبد الله رضي الله عنها : ٣٧٢/٦ ، وصححه الألباني ، انظر ، صحيح الجامع الصغير : ٣٣٢/٢/١ ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، الألباني : ١٢٩/١/١ ، رقم ١٧٨ .

(٣) صحيح البخاري - كتاب العلم - باب هل يجعل للنساء يوماً على حدة في العلم : ٣٥/١ .

ولعل أول امرأة عرفت الكتابة في عصر النبي ﷺ ، هي الشفاء بنت عبد الله ، المهاجرة القرشية العدوية ، ومنها تعلمت حفصة أم المؤمنين الكتابة بإقرار من الرسول ﷺ^(١) .

والتاريخ الإسلامي شاهد على عناية الإسلام بتعليم المرأة ، فكتب التراجم والسير ، مليئة بأسماء نساء عالمات ، محدثات ، فقيحات ، شاعرات ، أدبيات ، على مر العصور الإسلامية ، وإن كانت العصور الأولى هي أزهى عصور ازدهار المرأة وتعليمها .

وأول مثال على علم المرأة المسلمة ، نراه ماثلاً في زوجات النبي ﷺ وبناته ، فها هي عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، قد اختارها الرسول ﷺ زوجة له ؛ لتكون معلمة لنساء العالمين قاطبة ، فرباها تربية علمية تثبت اهتمام الإسلام بتعليم النساء ، فقال الزهري : (لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين ، وعلم جميع النساء ، لكان علم عائشة أفضل)^(٢) .

وذكر العلماء أن الذين حُفِظَتْ عنهم الفتوى من الصحابة ، مائة ونيفاً وثلاثين نفساً ، ما بين رجل وامرأة ، وكان المكثرون منهم سبعة ؛ عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وعائشة أم المؤمنين ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر .

ومن أعلام النساء المسلمات : أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية ، وحفصة بنت سيرين ، وعمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرة الأنصارية ، ونفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن ، (وفخر النساء) شهدة بنت أحمد بن الفرغ الدينورية .

ومن ربات الفصاحة والبلاغة : أم رعدة القشيرية ، ومعاذة بنت عبد الله العدوية ، ورابعة القيسية ، وأم البنين بنت عبد العزيز ، وعائشة بنت يوسف الباعونية الدمشقية ، وغيرهن كثيرات .

وإذا ما طوينا الزمن وسرنا قدماً ، رأينا أن البلاد الإسلامية في العصور العثمانية المتأخرة قد دخلت في سلسلة طويلة من الحروب الطاحنة في الداخل

(١) سبق تخريجه آنفاً .

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني : ٣٤٩/٤ - ٣٥٠ .

والخارج ، وعمّ الجهل بالعقائد أرجاء الدولة الإسلامية ، وانتشرت الخرافات والبدع ، وظهر الجهل بالدين واضحاً ، حتى في شبه الجزيرة العربية ، وقد انسحبت هذه الحالة على حياة المرأة ، وترسخت في أذهان الأهالي كثير من الأفكار الخاطئة عن كيفية بناء حياة المرأة والتعامل معها ، وساروا بحسب العادات والتقاليد التي تراكمت من الثقافات الأخرى ، إلى جانب بعض التقاليد العربية الخاطئة .

ولكن لم يمنع كل ذلك من ظهور نساء عالمات في الحجاز كنّ النواة التي سبقت مرحلة الكتاتيب ، ولعله بإمكاننا أن نطلق عليها مرحلة التعليم الأسري أو التعليم الذاتي ، وهي المرحلة التي أخرجت لنا أولى أفواج الفقيهات والخوجات ، اللواتي قمن فيما بعد بالتعليم في الكتاتيب ، حيث كانت الأسر التي تشتهر بالعلم والأدب والثقافة ، وكذا الأسر الحاكمة والغنية ، تعنى بتعليم بناتها بنفسها ، أو عن طريق إحضار معلمات أو معلمين إلى داخل المنزل ، فهذا ما جعلنا لا نعدم وجود نساء عالمات وفقهات قبل بداية القرن الخامس عشر ، فقد اشتهر على مدى ثلاثة قرون نساء عالمات من عائلة الطبري في مكة المكرمة ، وهن : أم سلمة بنت المحب الطبري ، في عهد الشراكة^(١) ، والثانية هي : مباركة بنت عبد القادر الطبري في العهد العثماني الأول^(٢) ، والثالثة هي : خديجة الطبرية في العهد العثماني الثاني^(٣) .

كما اشتهرت امرأة من آل العجيمي ، تُدعى أم الحسين ، وهي معروفة بين الفقهاء^(٤) .

وكان لقيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أثر في تعليم المرأة السعودية ، وفي مسيرتها التعليمية ؛ إذ كان الهدف من دعوته هو ترقية العقيدة من الشوائب التي علق بها نتيجة للجهل ، ورد الناس إلى الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح ، فنادى الشيخ محمد بن عبد الوهاب بضرورة التعليم ، ومعرفة

(١) تاريخ مكة ، أحمد السباعي : ٣٧٢ .

(٢) المرجع السابق : ٥٣١ .

(٣) المرجع السابق : ٦٦٣ .

(٤) المرجع السابق : ٥٣٦ .

الناس للقراءة والكتابة ، حتى يحفظوا قرآنهم ، ويفهموا آياته وشرائعه ، فكان للمرأة نصيب وافر من هذا الاهتمام ، حيث دأب الشيخ محمد بن عبد الوهاب يأمر النساء والصبيان بحضور الدروس التي كان يعقدها في المسجد صباحاً ومساءً^(١) .

كما عني الشيخ محمد عبد الوهاب بتعليم أهل بيته ، فكانت ابنته فاطمة محبة للعلم ، فقد عكفت على الدراسة والتحصيل ، وشغلت به عن حياتها الخاصة ، فلم تتزوج على الرغم من اتصافها بالجمال^(٢) . وهكذا أخذ تعليم المرأة في المملكة يخطو خطوات واسعة نحو التقدم ، وخاصة في الحجاز ، فقد كانت الكتاتيب النسائية فيه منتشرة بشكل أوسع من المناطق الأخرى ، وخاصة في مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، وجدة .

بداية نشأة الكتاتيب في الإسلام :

والكتاتيب جمع كُتَّاب ، وهو موضع تعليم القراءة والكتابة ، ويعد من المؤسسات التعليمية المهمة ، التي وجدت في المجتمع الإسلامي لتعليم وثقيف الصغار وتربيتهم تربية إسلامية^(٣) .

ويمكن أن يطلق على هذا النوع من التعليم (التعليم الأولي) ، لأنه أول درجات التعليم ، وأن أول ما يتعلمه التلميذ يعد من أوليات القراءة والكتابة ، وفك الحروف ، وأوليات الحساب ، والصور الصغيرة من القرآن الكريم .

ولعل أول كُتَّاب في الإسلام ، هو الذي أنشأه المصطفى ﷺ ، حين جعل فدية الأسير من الكفار الذي يعرف القراءة والكتابة في غزوة بدر يقوم بتعليم عشرة من المسلمين الأميين القراءة والكتابة^(٤) .

وأول كُتَّاب للنساء ، أنشأه - أيضاً - المصطفى ﷺ ، وكان يعرف بدار تعليم النساء^(٥) .

(١) تاريخ البلاد السعودية ، الدولة السعودية الأولى ، منير العجلاني : ٩٩/١ .

(٢) علماء نجد خلال ثمانية قرون : ٣٦٤/٥ ، ٣٦٦ ، نساء شهيرات من نجد ، دلال مخلص الحربي : ١١٠- ١١٢ .

(٣) الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما ، عبد اللطيف بن دهبش : ١١ .

(٤) السيرة النبوية الصحيحة ، أكرم ضياء العمري : ٣٦٨/٢ ، عيون الأثر ابن سيد الناس : ٢٨٦/١ - ٢٨٧ .

(٥) التعليم في المدينة المنورة ، ناجي الأنصاري : ١٣٩ .

ويعد عمر بن الخطاب ، هو أول من نظم الكتاتيب في الإسلام ، وجعلها دوراً رسمية للتعليم ؛ ففي (عهد عمر عند ما كثرت غيبة أرباب الأسر في الجهاد ، وكثر صبيان المسلمين ، سواء من زوجاتهم الحرائر ، أو من السبي الوافد ، وكثير منهم لا يجد من يعلمه ، فأمر عمر باتخاذ كتاتيب في كل حي يغدو إليه الصبيان ، يتعلمون فيه كتاب الله ، ومبادئ القراءة والكتابة ، وجعل للمعلم المتفرغ لذلك أجراً على عمله ، فاستحسن الناس هذا الصنع ، وانتشرت الكتاتيب في أحياء المدينة وضواحيها ، وكان عمر يمر عليها ، وينظر ما فيها من تعليم ، فسره ما رآه فيها ، وكتب إلى الولاة في الأمصار أن يتخذوا الكتاتيب بتعليم أولاد المسلمين ، ويعيّنوا المعلمين ، ويخصصوا لهم الأرزاق المناسبة . وبذلك بدأت مرحلة جديدة في تاريخ التعليم عند المسلمين ، وولدت أول مؤسسة تعليمية حكومية ، وأغرق مركز تعليمي إسلامي للأولاد والبنات على امتداد العصور^(١) .

ويذكر أن عمر بن الخطاب أمر عامر بن عبد الله الخزاعي بجمع الأولاد في الكتاب وملازمتهم للتعليم ، وفرض له راتباً من بيت مال المسلمين . وقد أمره بالكتابة في اللوح للبليد من الأولاد ، وخصص للتعليم أوقاتاً ؛ إذ جعلها على فترتين ، فأمر المعلم بالجلوس بعد صلاة الصبح إلى الضحى العالي ، ومن صلاة الظهر ، إلى صلاة العصر ، ثم شرع لهم إجازة يومي الخميس والجمعة ، وجعلها للراحة ، فصارت سنة ، وذلك عند ما خرج إلى الشام عام فتحها ، ومكث فيها شهراً ، وعندما رجع إلى المدينة ، وقد استوحش الناس منه ، فخرجوا إلى لقاءه ، فتلقاه الصغار على مسيرة يوم ، وكان ذلك يوم الخميس وباتوا معه ، ورجع بهم يوم الجمعة فتعبوا في خروجهم ، فشرع لهم الاستراحة في اليومين المذكورين ، وصارت بعده سنة ، دعا لمن أحيها ، ودعا بالضييق لمن أماتها^(٢) .

وقد ظلت الكتاتيب من ذلك الوقت تؤدي دورها في محاربة الجهل والامية حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري ؛ حيث بدأ يحل محلها في المملكة المدارس النظامية الحكومية .

(١) التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، عبد الباسط بدر : ٢٧٤/١ .

(٢) الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما ، عبد اللطيف بن دهيش : ١٥ .

الكتاتيب في المدينة المنورة :

وقبل البدء في الكتابة عن الكتاتيب النسائية في المدينة المنورة ، أجد أنه من الضروري إعطاء لمحة سريعة عن كتاتيب الرجال ، لأسباب منها :
إن كتاتيب الرجال هي التي مهدت لظهور الكتاتيب النسائية ؛ فعندما لمس الأهالي ذلك الخير الذي عاد على أبنائهم الذكور ، بدأوا يسمحون لبناتهم بالتعلم ويشجعونهن على ذلك .

والسبب الثاني : إنَّ هناك بعض الكتاتيب الرجالية كانت الفتيات يدرسن بها جنباً إلى جنب مع الفتيان ، ولكن في المراحل العمرية الأولى ، كما أن بعض الكتاتيب النسائية كان يدرس بها بعض الذكور ، فقد ذكر عبد اللطيف بن دهيش ما نصه (هذا ويجب أن نشير إلى أن بعض الفتيات ، يتم تعليمهن في كتاب الأولاد حتى سن الثامنة فقط ، ثم لا يسمح لهن بمواصلة الدراسة إلا في كتاتيب خاصة بالفتيات)^(١) .

ولقد كانت مكة المكرمة أكثر المدن في المملكة العربية السعودية اهتماماً بالتعليم ، فقد جاء في أول تقرير رسمي للحكومة العثمانية عن ولاية الحجاز الصادر عام ١٣٠١هـ أنه كان بمكة المكرمة عام ١٣٠١هـ ثلاثة وثلاثون كتاباً بها (١١٥٠) طالباً ، وكانت موزعة في جميع أنحاء مكة المكرمة على النحو التالي :

حي الشامية وبه (٦) كتاتيب ، القرارة (٥) كتاتيب ، شعب عامر (٥) كتاتيب ، سوق الليل (٤) كتاتيب ، الشبيكة (٤) ، القشاشية (٣) كتاتيب ، حارة الباب (٣) كتاتيب ، ويوجد كتاب واحد في كل من : النقا السليمانية ، المسفلة ، وجياد . ويظهر ، أن هذا العدد من الكتاتيب ، قد أخذ في الازدياد المستمر ، حتى بلغ في عام ١٣٠٩هـ (٤٣) كتاباً .

غير أن عدد الكتاتيب في مدينة مكة استمر في الازدياد البطيء ، إلى جانب أن بعض تلك الكتاتيب قد اختفى ، وظهرت كتاتيب أخرى غيرها ، وذلك ما بين عام ١٣٩٥ - ١٣٧٣هـ^(٢) .

(١) الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما ، عبد اللطيف بن دهيش : ١٥ .

(٢) المرجع السابق : ١٧ - ١٨ .

أما الكتاتيب في المدينة المنورة ؛ فقد كان بعضها في المسجد النبوي ، وبعضها الآخر في بيوت معلميها في أحياء مختلفة من المدينة ، وقليل منها في الأربطة . وعندما أعيد بناء المسجد النبوي في عهد السلطان عبد المجيد ، خصصت للكتاتيب (٦) غرف في الجهة الشمالية ، وبني فوقها طابق آخر لمكتبة المسجد ، وعين لكل كتاب معلم وعريف ، يأخذان رواتبهما من الخزانة النبوية - ميزانية المسجد النبوي .

فأشهر الكتاتيب وأنظمتها في العهد العثماني هي كتاتيب الحرمين الشريفين التي أنشأها السلطان عبد المجيد ، والسلطان محمود .

وربما كان أول إحصاء رسمي للتعليم في المدينة المنورة ، هو ما نشر في التقويم الرسمي لولاية (سالنامه ولاية الحجاز) فيما بين عامي ١٣٠١هـ - ١٣٠٩هـ ، حيث ذكر فيه :

أن عدد الكتاتيب المجيدية فيما بين عامي ١٣٠١هـ - ١٣٠٩هـ بلغ (١٣) كتاباً ، وعدد المدرسين (١٢) مدرساً ، وعدد العرفاء (١٢) عريفاً ، والتلاميذ ٢٥٠ إلى ٢٦٠ تلميذاً^(١) .

وقد ذكرت السالنامه هذه الكتاتيب منسوبة إلى شيوخها الذين يعلمون فيها على النحو التالي :

- ١ - كتاب الشيخ مصطفى بن أحمد فقيه ، بدأ التعليم فيه سنة ١٢٧٣هـ أي إثر انتهاء البناء المجيدي مباشرة ، وقد خلف الشيخ مصطفى أخوه إبراهيم .
- ٢ - كتّاب الشيخ مصطفى الزهّار^(٢) ، بدأ التعليم فيه سنة ١٣٠٠هـ ، وقد خلف الشيخ مصطفى الشيخ محمد التابعي ، ثم الشيخ عبد الفتاح أبو خضر .

(١) تاريخ التعليم في المدينة المنورة ، ناجي الأنصاري : ٣٢٣ .

(٢) مصطفى الزهّار الذي تشير إليه معظم المصادر هو جد والد الكاتبة إلا أن المشهور في العائلة أن اسمه أحمد الزهّار ، وقد سمى جدي الوالد على اسمه ، وتذكر المصادر أن اسمه مأخوذ عن سالنامه الحجاز ، فعمل هناك لبساً بين اسمه واسم صاحب الكتاب الأول الشيخ مصطفى فقيه ، أو لعل اسمه كان مركباً وهو أحمد مصطفى ، ولم يذكر جدنا إلا اسمه الأول ، ويعود أصله من مدينة دمياط بمصر ، وقد هاجر منها في أوائل القرن الثالث عشر الهجري ، وتزوج بامرأة تدعى هديبة من آل صبحي ببدر ، وكان جدي قليل الكلام لم يذكر عن عائلته شيئاً غير أن والده كان فقيهاً بالحرم المدني . وكان جدي قارئاً لكتاب الله ،

- ٣ - كُتِّبَ الشيخ بشير المغربي ١٣٠٠هـ .
- ٤ - كُتِّبَ الشيخ إبراهيم الطرودي ١٣٠٠هـ .
- ٥ - كُتِّبَ الشيخ أحمد الطرودي
- ٦ - كُتِّبَ الشيخ عبيد السناري ، والشيخ الحافظ حمدي أفندي ، الذي كان يعلم الخط ، واللغتين : التركية والفارسية .
- وكان شيخ كل كُتِّبَ من هذه الكُتاتيب يتقاضى معاشاً من الخزينة النبوية مقداره مائتا قرش عثماني ، أمّا العريف فيتقاضى : مائة قرش عثماني^(١)
- ويذكر الشيخ علي بن موسى إمام المالكية بالمسجد النبوي الشريف أنه كان في المدينة أربعة وعشرون كُتِّباً موزعة كالتالي :
- اثنا عشر كُتِّباً مخصصة للقراءة في مؤخر الحرم الشريف (باب المجيدي) منها واحد صار في زمن السلطان عبد المجيد (مكتب رشدية) ؛ لتعليم الصبيان الخطوط وسائر اللغات .
- كُتِّبَ واحد مختص بتعليم اللغة الفارسية ، وكُتِّبَ عند باب السلام ، وكتابان حول المسجد النبوي الشريف ، وثمانية كُتاتيب موزعة على أحياء المدينة المنورة آنذاك ، وذلك غير مكاتب البنات^(٢) .
- ويذكر إبراهيم رفعت ، أن في المدينة عام ١٣٠٩هـ (١٨) مكتبة و (١٧) مدرسة تدرس فيها العلوم الأولية ، و (مكتباً راقياً) و (١٢) مكتباً للصبيان لكل مكتب فقيه وعريف ، وكان عدد التلاميذ بالمكاتب ٣٢٠ تلميذاً وتلامذة المكتب الراقى (٥٥) تلميذاً^(٣)

ولعل والده قام بتعليمه ، وقد كتب اسم العائلة الظهار بدلاً من الرُّهَّار نتيجة لخطأ كتابي عند بداية إصدار التابيعات السعودية ولم يحفل أحد بتصحيحه بعد ذلك .

(١) التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني ، محمد عبد الرحمن الشامخ : ٧٠ . التاريخ الشامل ، عبد الباسط بدر : ٨٦/٣ - ٨٧ ، الكُتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما ، عبد اللطيف بن دهيش : ٣٨ . التعليم الأهلي في المدينة المنورة ، دخيل الله عبد الله الحيدري : ٤٩ .

(٢) التعليم في مكة والمدينة ، محمد عبد الرحمن الشامخ : ٧٠ . تاريخ المدينة الشامل ، عبد الباسط بدر : ٨٨/٣ . التعليم في المدينة المنورة ، ناجي الأنصاري : ٣٢٦ .

(٣) مرآة الحرمين ، إبراهيم رفعت : ٤١٤ .

في حين ذكر محمد صادق الذي زار المدينة عام (١٣٠٢هـ) أن في المدينة عام ١٣٢٧هـ (١٧) مدرسة^(١).

ولقد تحدث الأستاذ جعفر فقيه عن التعليم في المدينة المنورة في بداية القرن العشرين ، فذكر أنه كان فيها أربعة عشر كتّاباً ، ستة منها في المسجد النبوي ، وثمانية خارج المسجد النبوي .

فالكتاب التي كانت موجودة خارج الحرم المدني في أواخر العهد

العثماني هي :

- ١ - كتّاب الشيخ عبد القادر بشير في العنبرية .
- ٢ - كتّاب الشيخ حامد في المرادية بالسيح .
- ٣ - كتّاب الشيخ محمد الغطي في المناخة .
- ٤ - كتّاب الشيخ عبد القادر الشامي في مسجد علي بن أبي طالب .
- ٥ - كتّاب الشريف المغربي في المسحورية .
- ٦ - كتّاب الشيخ جلال إلياس في مسجد السبق .
- ٧ - كتّاب الشيخ محمد خليل في قباء .
- ٨ - كتّاب الشيخ محمد إسحاق التركي في القبلتين^(٢) .

ولم يكن معلوم هذه الكتابات وعرفائها يتقاضون رواتب من الخزينة النبوية ، بل كانوا يتقاضون أجوراً محددة من أولياء الأمور^(٣) .

ويعدد علي بن موسى ثمانية كتابات أخرى خارج الحرم ، لم يذكر

أصحاب معظمها ، وإنما أماكنها ، وهي كالتالي :

- ١ - كتّاب في مسجد القزلاز حافظ بهرام آغا في العنبرية .
- ٢ - كتّاب عند سبيل أبي جيدة .
- ٣ - كتّاب عند المرادية وعضل .

(١) التعليم في مكة والمدينة ، محمد عبد الرحمن الشامخ : ٧٢ .

(٢) التعليم في مكة والمدينة ، محمد عبد الرحمن الشامخ : ٧١ . التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، عبد الباسط

بدر : ٨٨/٣ . الكتابات في الحرمين الشريفين وما حولهما ، عبد اللطيف بن دهيش : ٣٨ . تاريخ التعليم في

المدينة المنورة ، ناجي الأنصاري : ٣٢٧ . تطور التعليم بالمملكة العربية السعودية ، حسن الجوادي : ٣٨/١ .

(٣) التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، عبد الباسط بدر : ٨٧/٣ .

- ٤ - كُتِّبَ عند مفرق الميري أسسه سليم بك الماينجي .
- ٥ - كُتِّبَ في حوش التاجوري .
- ٦ - كُتِّبَ في بيت الخليفة .
- ٧ - كُتِّبَ عند واجهة المناخة .
- ٨ - كُتِّبَ في زاوية القشاشية .
- ٩ - كُتِّبَ في زقاق النخولة^(١) .

وذكر الأستاذ عبد الخالق النقشبندي في ترجمته لحياة الشيخ عبد القادر توفيق شلبي ، أنه كان يوجد بالمدينة كُتِّبَ لتعليم القرآن الكريم ، يُعرف بكُتِّبَ مدرسة الكشميري ، ويديره الشيخ عبد العليم الهندي ، وأن الشيخ عبد القادر شلبي وزميله السيد أحمد العربي من جملة تلاميذ ذلك الكُتِّبَ ، ثم انتقلا إلى كُتِّبَ الشريف المغربي^(٢) .

وبعد هذه الأدلة القاطعة بوجود الكتاتيب في المدينة من بداية القرن الثاني عشر الهجري أو قبله ، يذكر محمد لبيب البتونوي أنه : (. . ليس في المدينة من المدارس ما يستحق الذكر ، والذي يدرس في الحرم شيء بسيط من الفقه والتفسير)^(٣) .

في حين أنه ذكر أن في المدينة كتبانات كثيرة ، أحسنها كتبانة شيخ الإسلام عارف حكمت ، وكتبانة السلطان محمود ، وفي المدينة جريدة اسمها (المدينة المنورة) تصدر باللغة التركية من مطبعة البالوزة ، فكيف يتفق قوله بوجود المكتبات الكثيرة ، والصحف ، والمطابع التي هي أكبر مظهر من مظاهر التعليم بعدم وجود مدارس تستحق الذكر في المدينة عام ١٣٢٧هـ ، وقد جاء في سالنامة الحجاز أن بالمدينة عام ١٣٠١هـ (١٢) مدرسة ، وذكرت بعض المصادر أن بها (١٧) مدرسة^(٤) .

كتاتيب البنات في المدينة المنورة :

(١) المرجع السابق : ٨٨/٣ .

(٢) الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما ، عبد اللطيف بن دهيش : ٣٩ .

(٣) الرحلة الحجازية ، محمد لبيب البتونوي : ٣٥١ .

(٤) المرجع السابق ص : ٣٤٨ .

يبدو أنه مع ظهور مدارس البنين الأهلية والرسمية في عهد الملك عبد العزيز ، تناقصت الكتاتيب الخاصة بالبنين ؛ لتوافر الفرص التعليمية الحديثة لديهم بينما ازداد عدد الكتاتيب الخاصة للبنات ؛ لتأخر ظهور مدارس الفتيات . ولكننا نلاحظ أنه بمجرد إعلان المدارس الأهلية والحكومية للبنات ، أخذت الكتاتيب تندمج فيها حتى انتهى دورها .

ولعل كتاتيب الفتيات قد انتشرت في المدن الكبرى ، وخاصة في المنطقة الغربية ، وعلى رأسها مكة ، والمدينة ، وجدة .

يذكر بعض الباحثين أن كتاتيب البنات في المدينة المنورة كانت منتشرة حول المسجد النبوي الشريف ، وفي شوارع وأحياء المدينة ، وهي لا تختلف عن مكاتب الصبيان في منهجها ، وطرائق التعليم فيها ، كما أنها محدودة العدد^(١) ، ومن أشهرها :

١ - كُتَّاب الشيخة فاطمة هانم بنت يوسف الشامية : وقد أنشأته في عام ١٣٤١هـ ، وكان عدد طالباتها ٩٥ طالبة ، ويقع في الساحة بجوار السلطانية ، وبجوار حوش التكارنة .

وتذكر إحدى الدارسات (زينب عبد رب الرسول) أنه لم يكن كتاباً بل كان مكتباً ، وفرق بين مكتب وكتّاب ، فالكتّاب عبارة عن غرفة صغيرة يجتمع فيها عدد قليل من الفتيات ، ولا يعلم فيه إلا القرآن الكريم ، وبعض أحكام الصلاة .

أما المكتب فهو أكبر من الكتّاب ، ويتكون من قاعة كبيرة أو أكثر وعدد الطالبات فيه كثير ، ويدرس فيه القرآن ، والقراءة ، والكتابة ، والإملاء ، والإنشاء ، والفقه ، والتوحيد ، فمناهجه أكثر وأرحب ، ومن هذا النوع كان ما أنشأته فاطمة هانم وفخرية هانم .

ويمتاز هذا الكتّاب بقوة الدراسة فيه ، وتعليمه للكتابة والإملاء في

حين كانت كثير من الكتاتيب تمنع ذلك .

(١) الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما ، عبد اللطيف بن دهيش : ١٥ .

وتذكر بعض الدارسات فيه ، أنهن كن يدرسن من كُتاب جواهر الأدب ، كما كانت الخوجة فاطمة تعلم الطالبات الخطابة ، وإلقاء القصائد ، بل وتعلمهن نظم القصائد ، وكتابة الشعر .

ويقع كُتاب الخوجة فاطمة في دارها ، التي تمتاز باتساعها في ذلك الوقت ؛ فكانت مكونة من ديوان ، وقاعة بدكتين ، ومقعد كبير ، وحمامين ، وعدد من الأسياب .

وكان الكُتاب يشغل الديوان ، والمقعد الكبير ذي الدكتين ، وفي الوسط فرش حجر ، وتجلس الخوجة في الوسط على الكرويتة - وهو كرسي متسع وعالٍ بعض الشيء - وبعد أن تقوم الطالبات بتشكيل السور القرآنية بأنفسهن ، يعمدن إلى تسميع السور لبعضهن ، ثم يذهبن لتسميعها للخوجة ، وهذا يشبه ما نسميه وننادي به اليوم من التعليم الذاتي .

والمخرجات من هذا الكُتاب يتخرجن وهنَّ متمكنات من الكتابة والقراءة بشكل جيد مع حسن الخط .

والدراسة تبدأ فيه من الصباح ، وحتى بعد صلاة العصر ، وتحضر الطالبات معهن وجبة الغداء ، وفي فترة الظهر تقوم الطالبات بتنظيف الدار ، وتغسيل الدكتين ، والتحضير للغداء والأكل الجماعي .

وعن أدوات الكتابة فيه ؛ فقد كانت مكونة من حبر وقلم ، وأقلام رصاص ، وألواح حجر ، وبعض الدفاتر ، وكانت الطالبات يحملن حقائب ، والمتحدثات عن هذا الكُتاب يتحدثن عنه بكل إعجاب ، وأنه كان كُتاباً راقياً ، تُعلَّم فيه الخوجة البنات الأدب ، والسلوكيات الفاضلة .

فكان معظم بنات العوائل المدنية يدرسن فيه من أمثال : بدرية عبد ربه ، ومارية جعفرية ، ومارية سمانية ، وآمنة علمية ، وزكية جعفر ، ورتيبة خاشقجي ، وسامية ووداد ومنيرة ونزيهة وزينب عطية ، ورمزية وفوزية نوري ، وصفية أفغاني ، ورقية خيارى ، وزينب حمزة عبد رب الرسول .

كما كان الكُتَّاب يضم بعضاً من الذكور أمثال : علي دقاق ، وعبد الباري شاولي وإخوانه .

وعلى يد الخوجة فاطمة تخرجت رائدات الكتاتيب أمثال : شرف علمية ونفيسة نعمانة .

وكانت الخوجة فاطمة الشامية مربية فاضلة ، تمتاز بأخلاقها ، فلم تنتهج طريق القسوة والضرب مع طالباتها ، بل كان التعامل قائماً على التسامح والتفاهم .

والخوجة فاطمة كانت تعيش منفردة ؛ إذ هي أرملة قدمت من الشام بعد وفاة زوجها ، وفتحت الكُتَّاب وأقامت في المدينة حتى توفاهها الله بها ، ولم تعقب أولاداً ، ووهبت حياتها لتعليم بنات جنسها ، غير أنها كانت كثيرة العناية بالأستاذة شرف علمية ، التي كانت شديدة اللصوق بها ، حيث كانت شبه مقيمة لديها تساعد في شؤون التعليم .

أما عن السن التي تقبل فيها الطالبات ، فكانت تبدأ منذ الصغر من حوالي ٣ - ٤ سنوات ، وكان يسمح للطالبات باصطحاب أخواتهن الصغيرات والعناية بهن داخل الكُتَّاب ، وكان هناك قسماً للروضة . وعن طريقة تشجيع الطالبات في الكتاتيب ذكرت الدارسات أنه كانت هناك ثلاثة أنواع من الاحتفالات هي : الصرفة ، والصرافة ، والختمة .

والصرافة لمن ابتدأت القراءة وقرأت السور الصغيرة من القرآن مثل (الفاتحة) و (قل هو الله أحد) ، وكانت تقام في داخل الكُتَّاب ، ويحضر الأهل فيه زهوة حلوة ، أو رمآن موضوعاً في التباسي ويغطي بالورد ، ويقال : إن الصرفة لغير المقتدرين مادياً في أغلبها ، والصرافة لميسورات الحال ، أما الصرافة فكانت تقام للطالبة التي تختم جزء (عم) أو أكثر ، والختمة لمن تختم القرآن ولو نظراً .

وعن طريقة الاحتفال ، فقد كانت شبيهة باحتفالات الأفراح حيث تلبس الطالبة (الطرحة من الجرجيك الطبيعي) ، وتحمل اللوح بيدها وتقف في الوسط وعلى الجانبين طالبتين ، ويصطف الطالبات ثلاث ثلاث ، وبين

كل صفين تقف طالبة من الكبيرات لضبط الأخرى والانتباه لهن ، والكبيرات كنّ يرتدين العباءات ، وتسير المسيرة حتى يصلن إلى بيت الطالبة ، فتقوم بقراءة القرآن ، ويقوم عدد آخر من الطالبات بقراءة عدد من الآيات ، وإلقاء الخطب ، والقصائد ، وتزف الطالبة المتخرجة بالطبول ، وكذلك يسمح بزف الطالبات المتخرجات سابقاً إذا أراد أهلهن ذلك ، ويلبسن الزيون والتركي ، وتقوم الزفافات بزفهن ، وفي نهاية الحفل يوضع الغداء للنساء ، وربما تكون هناك دعوة للرجال .

إنّ هذا الاحتفال يثبت أن كثيراً من الأهالي كانوا يهتمون ويحرصون على تعليم بناتهم بعكس ما هو مشاع في كثير من الكتب من أنّ الأهالي لم يحفلوا بتعليم بناتهم ، ولكن كان البعض يرفض تعليمهن الكتابة ، أمّا القرآن وعلوم الدين فكانوا لا يمانعون في ذلك .

جاء في كتاب تطور التعليم في المملكة : (وإنّ عدد كتاتيب البنات في المدينة تقل عن كتاتيب الذكور كثيراً ، فلم يكن تعليم البنات عند معظم بيوتات المدينة ذا أهمية)^(١)

وهذا القول خلاف ما ظهر للباحثة ، فقد كانت المدينة مليئة بكتاتيب البنات ، ففي كل حارة كان أكثر من كتّاب^(٢)

٢ - كتّاب الخوجة فخرية هانم : ويقع الكتّاب في الشونة^(٣) ، وعدد طالباتها ١٢٠ طالبة^(٤) ، وقيل ٢٠٠ طالبة^(٥) .

وهي امرأة قدمت من تركيا ، ولم يُعرف لها زوج أو أولاد ، وكانت تذهب في إجازات الصيف إلى تركيا ، وتتوب عنها : نائلة عطاسة ، وقد

(١) تطور التعليم بالمملكة العربية السعودية ، حسن الجوادي : ٤٩ .

(٢) مشافهة السيدة زينب حمزة عبد رب الرسول إحدى الدارسات بتاريخ الاثنين ٢١ ، والثلاثاء : ١١/٢٢/١٤٢٢ هـ ، محادثة آمنة أحمد علمي بتاريخ : الثلاثاء : ١١/٢٢/١٤٢٢ هـ ، إحدى الدارسات وصفية عثمان حلمي ، بتاريخ الجمعة : ١١/١٨ ، الجمعة : ١١/٢٥/١٤٢٢ هـ ، وهي صاحبة كتّاب .

(٣) الكتاتيب في الحرمين وما حولهما ، عبد اللطيف بن دهيش : ٤١ .

(٤) التعليم في المدينة المنورة ناجي الأنصاري : ٥٧٩ .

(٥) صور من الحياة الاجتماعية ، ياسين خيارى : ١٢٢ ، صفحات من تاريخ الإبداع الأدبي بالمدينة المنورة ، عاصم حمدان : ٢٧٤ .

كانت مساعدة لها ، كما كانت الطالبات المتخرجات يساعدها بأن يحضرن كل يوم سبت ، ويقمن بالمراجعة للطالبات ، وعقد الاختبارات لهن ، ومن أولئك : سنية محسن بري ، فائزة حمزة بدوي ، وداد محمود نعمان . وكانت الطالبات ينادين عليهن بلفظ : (أبلة) .

هذا في مرحلة تطور الكُتَّاب إلى مدرسة شبه نظامية ، حيث أصبحت الدراسة فيه إلى الصف السادس الابتدائي ، إلا أن جميع الصفوف كانت تضمها قاعة واحدة .

وتعطى الطالبات شهادات مصدقة من وزير المعارف في ذلك الوقت (الملك فهد بن عبد العزيز) .

أمّا عن المواد فلم تعد قاصرة على القرآن والتجويد ، بل تنوعت إلى قرآن وتجويد ، مطالعة ، تاريخ ، حساب ، الإنشاء العصرية ، حسن سيرة ، تهذيب وأخلاق ، حسن خط ، علوم وصحة ، والدراسة أصبحت على السبورة ، والدفاتر ، وكانت الطالبات تحملن الشنط .

ولكن ظلت الطالبات ينادين (المعلمة) بالخوجة ، فلم يتغير مسماهما مع تطور الكُتَّاب .

وكان لدى الخوجة فخرية جارية مغربية تسمى (سلمى) تقوم على خدمتها ، إلى جانب قيامها بأمر المبيعات للطالبات من حلوى وبسكوتات ، وكانت تبيع عليهن البليلة يوم السبت فقط - وهذا ما نسميه اليوم بالمقصف - والجارية سلمى مازالت على قيد الحياة .

وكانت الخوجة تحمل في يدها خيزراناً طويلة ، وتستخدم الفلكة لعقاب الطالبات .

وكانت الطالبات المتخرجات من لدى فخرية هانم يكملن دراستهن - حسب الرغبة - بتعلم فنون الخياطة والتطريز لدى ملكة فضل إلهي في الشونة ، بجوار فخرية هانم^(١) .

(١) مقابلة بعض الدارسات ، منهن عيشة نعمان ، ومرضية نعمان يوم الاثنين ٢٨/١١/١٤٢٢هـ .

ويعد كُتَّاب فاطمة هانم ، وفخرية هانم من أقدم الكتاتيب ، وقد تخرج منهما عدد من الفتيات ، فمن بدر وهن بافتتاح كتاتيب أخرى مثل :

٣ - كُتَّاب الخوجة شرف علمية (علمي) : وهي شرف أحمد العلمي ، درست على يد الخوجة فاطمة هانم الشامية ، وكانت شرف علمية تمتاز بذكائها وحبها للعلم ، ومهارتها في إلقاء القصائد ونظم الشعر ، إلى جانب امتلاكها صوتاً رخيماً جميلاً ، مما جعل لها مكانة خاصة لدى معلمتها فأثرت بها ، وأخذت تهتم بها اهتماماً خاصاً ، لما رأت عليها من علامات النجابة ، حتى أنها جعلتها تلازمها ليل نهار وتقوم بمساعدتها في التدريس ، وترافقها في الزيارات الرسمية مثل الصرافة والختمة والدعوات الخاصة ، وكانت لهذه الملازمة أثرها في تكوين شخصية الخوجة شرف علمية التي فتحت فيما بعد كُتَّاباً بعد وفاة معلمتها ، كان بداية في سيدنا مالك ، في حوش المرزوقي ، عند سقيفة الرصاص ، في بيت حسن دفتر دار ، ثم انتقلت إلى الساحة . وكانت تنوب عنها وتساعدتها أختها آمنة علمية .

ولقد دفعها طموحها إلى تطوير كُتَّابها ، وجعلته مدرسة شبه منظمة أطلقت عليها اسم : (المقاصد الإسلامية) ، وكانت في الرومية بجوار الحرم ، في بيت الدكتور حبيب الرحمن ، حيث استأجرت منه الدور الأرضي .

وكانت الطالبات يدرسن لديها حتى الصف السادس الابتدائي ، ومناهجهن وفق مناهج وزارة المعارف ، وكانت تساعدتها في التدريس خيرية الزهاوي ، ومدرسة سوريّة تدعى يسرى ، وأخرى تُدعى إلهام ، وبعد افتتاح المدارس الحكومية انضمت مدرستها إلى المدارس الحكومية ، وعُينت الأستاذة شرف مديرة للمدرسة الابتدائية السادسة .

ورغبة منها في تطوير تعليم الفتاة ، ذهبت شخصياً إلى الملك فيصل بالرياض وطلبت منه فتح مدرسة متوسطة ، وأبدت استعدادها لأن تكون مديرة للمدرستين في آن واحد ، فوافق - رحمه الله - على طلبها ، وقامت هي بفتح المدرستين في قباء ، في بيت حمزة عجاج ، ويشهد لها

الكثيرات من أهل المدينة ممن درس بناتهن في مدرستها بأنها كانت ذات شخصية قوية ، إلى جانب محافظتها على نظافة ونظام المدرسة ، فكانت تعمل في المدرسة ليل نهار ، وكأنها بيتها الخاص . وقد تخرج على يدها أجيال من النساء كثيرات لا يمكن حصرهن ، وقد تقلدن اليوم مناصب عالية ؛ فمنهن الدكتوروات الأكاديميات ، والطبيبات ، والموجهات والمعلمات ، والأديبات .

ومنهن على سبيل المثال : عيشة الوقيصي ، فائزة جعفر ، إحسان جعفر ، سامية حكيم ، حياة حكيم .

أما عن حياة الأستاذة شرف الخاصة ، فهي قد تربت يتيمة الأب ، غير أن والدتها - رحمها الله - جعلتها تطرق أبواب العلم ، وتهل منه على يد معلمتها التي أحببتها وآثرتها ، وقد أحببت من خلال تلك الرعاية طريق العلم ، وشغلت به عن الزواج ، فلم تتزوج ، وكانت كريمة سخية تفعل الخير في خفاء ، فقد كانت تعول فتيات فقيرات يتيمات في كتابها السابق ، ومدرستها ، وعند وفاتها حزنٌ عليها حزناً شديداً ، وذكرن أن والدهن اليوم قد مات .

وتذكر أختها - آمنة - قصة عن عطفها ، وحنانها ، وإحساسها الصادق بآلام الغير ، بأن سيدة اتصلت بها تشكو عدم صلاحية بيتهم للسكنى ، وهي أم لبنات يتيمات ، والبيت آيل للسقوط في أي لحظة ، فقامت من توها واستأجرت لهن شقة ، فما أن حلَّ المساء إلا وكانت المرأة وبناتها قد انتقلن إلى المنزل الجديد ، وفي ذات الليلة سقط البيت القديم ، ولكن بعد أن خرجت الأم وبناتها على يد الأستاذة شرف علمية - رحمها الله -^(١)

(١) محادثة أختها - آمنة علمية - الثلاثاء : ١٤٢٢/١١/٢٢هـ ، الأحد : ١٤٢٢/١١/٢٧هـ ، محادثة عائشة الوقيصي ، الثلاثاء : ١٤٢٢/١١/٢٩هـ ، وهي إحدى الدارسات .

- وللأستاذة شرف مؤلفات مطبوعة منها : صدى نفسي ، كتبت فيه حياتها وكفاحها كاملة ، وبعض أشعارها ، ولكنني لم أستطع الاطلاع عليه ؛ لعدم وجوده عند عائلتها ، وعدم تمكنهم من الحصول على نسخة منه .
- وقد كُرِّمت من نادي المدينة الأدبي بتاريخ : ١٣/٣/٤٢١هـ .
- ٤ - كُتِّب الخوجة زينب مغربلية : وهي زينب حسن عبد الله مغربل ، زوجة الشيخ طه محمود مغربل ، فتحت الكُتِّب في عام ١٣٦٢هـ .
- وقد وجد بخط يدها ما يفيد أنها درست على يد الخوجة فخرية هانم القراءة والكتابة ، وأجزاء من القرآن الكريم ، وكان يُعرف اسم هذا الكُتِّب باسم : كُتِّب الفوز والنجاح ، وبعد انتقال الخوجة فخرية إلى مكة المكرمة ، قررت السيدة زينب حسن مغربل فتح كُتِّب في المدينة يحمل اسم : مدرسة الفوز والنجاح وهي مدرسة أهلية تحت إشراف مديرية المعارف ، وذلك عام ١٣٦٢هـ ، ولكن ظلت المدرسة تُعرف بكُتِّب المغربلية ، وكان يقع في العنبرية ، مقابل مبنى إدارة المالية سابقاً ، وبلغ في إحدى السنوات عدد تلميذاته (١٠٠) تلميذة .
- وعندما رغبت في العمل في المدارس الحكومية ، عُينت عام ١٣٨٢هـ في المدرسة الأولى الابتدائية للبنات في المدينة مراقبة فيها ، واستمرت في العمل التربوي حتى أُحيلت على التقاعد عام ١٤٠٥هـ .
- ومن أبرز مآثرها : تأسيسها كُتِّب الفوز والنجاح ، الذي عُرف بكُتِّب المغربلية .
- تخرجها لعديد من الطالبات اللواتي عرفن بالجد ، والاجتهاد ، والصلاح ، وأصبحن مديرات ومعلمات في مدارس البنات ، وربات بيوت ناجحات .
- نالت شهادة تقدير من مديرية التعليم للبنات بالمدينة المنورة عام ١٤١٠هـ تقديراً لجهودها وخدماتها .
- كما قام النادي الأدبي بتكريمها عام (١٤٢١/٣/٣١هـ) .
- والسيدة زينب مغربلية عقببت ثلاثة أولاد ، وأربع بنات ، هم :
- المهندس حسن طه مغربل ، نائب أمين منطقة مدينة جدة للشؤون الفنية سابقاً .

- الدكتور فؤاد طه مغريل ، الفنان التشكيلي المعروف .
- المهندس سمير مغريل .
- الأستاذة راوية ، مديرة المتوسطة السادسة سابقاً - والآن متقاعدة - وهي خريجة جامعة أم القرى .
- الأستاذة سلوى ، خريجة جامعة الملك عبد العزيز بجدة قسم علم اجتماع ، وتحمل دبلوم من كلية التربية بالمدينة المنورة ، متقاعدة من عشر سنوات .
- الأستاذة سميرة ، بكالوريوس إدارة عامة .
- الأستاذة نبيلة ، ثانوية عامة^(١) .

وعن كُتَّاب المغربلية يقول الدكتور عاصم حمدان : (.. أنشأت السيدة زينب مغريل - رحمها الله - كُتَّابها في العنبرية ، ولقد كان الكُتَّاب يعنى بتعليم القراءة السليمة لكتاب الله الحكيم ، وكان التركيز شديداً على مادة الإنشاء أو التعبير ، كما أن فترة الدراسة تمتد أحياناً إلى وقت العصر)^(٢)

- ٥ - كُتَّاب الخوجة أم نعيم البخارية : وهي عنبرة سمرقندي بخارية الأصل ، فتحت كتابها بداية في وقف سلطان في حي باب المجيدي ، مقابل باب البصري ، ومكثت تدرس فيه قرابة (٢٢) سنة ، وهي على شرط الواقف بأن لا تأخذ أجراً على تعليمها ، وأن يكون مجانياً لوجه الله تعالى فمنها التعليم ، وعلى الواقف المكان .
- وكانت تساعدها في التدريس شهيرة بريّة ، كما كانت تساعدها صفية حلمي ، وكان عدد طالباتها في ذلك الوقت ما يقرب من (١٠٠) طالبة ، ومن خلال اهتمام الملك عبد العزيز وسعود بالتعليم النسائي ، كانت تصرف لها معونة من الدولة تقدر ب (٢٠٠) ريال .

(١) مقابلة ومشاهدة ابنتها سلوى مغريل بتاريخ الأحد : ٢٠/١١/١٤٢٢هـ .

(٢) صفحات من تاريخ الإبداع الأدبي بالمدينة المنورة ، عاصم حمدان : ٢٧٤ .

ومن طالباتها: بنات الرفاعي ، وبنات جمل الليل ، وبنات عبد الرحمن طه ، وبنات الوقيصي ، وبنات محمد نور كتيبي ، وبنات أبو الجود ، وبنات أخو الشيخ عبد العزيز بن صالح ، وفريدة الخريجي ، وغيرهن كثيرات . ثم اختلفت مع شرط الواقف ، وتركت كتأبها في وقف سلطان ، وفتحت كتأباً خاصاً بها في باب المجيدي خلف بيت سعيد دفتردار ، وقامت بالتدريس في موقع الكتاب الأول صفية حلمي حفيدة الواقف - وسيأتي الحديث عنها -^(١) .

وذكر علي حافظ أن كتأبها ، يطلق عليه : مدرسة الهداية الإسلامية أسستها حوالي سنة ١٣٦٦هـ ، باب المجيدي^(٢) .

٦ - كتأب بتول الهوسة : وهي بتول بنت الشيخ أحمد ، وزوجة الشيخ بكر زكريا ، كان كتأبها في حوش النورة ، وقد خلفت أمها في هذا الكتاب ، وأمها كانت تدعى : الفقيهة بتول التكرونية ، ثم انتقلت الفقيهة بتول إلى ضروان ، وقد درست على يد والدها الشيخ بكر زكريا ، وعلى يد والدتها . ولقد واصلت دراستها حتى أخذت الابتدائية ، ثم توظفت في المدارس الحكومية هي وشرف علمية ونفيسة نعمانة .

لها من الأولاد عبد الرحمن ، عبد الوهاب ، عبد الرحيم ، محمد نور . ومن البنات : رحمة ، خديجة ، أمينة^(٣)

وفي تقرير شيخ طائفة الفقهاء والقراء بالمدينة المنورة الذي رفعه إلى معتمد المعارف بتاريخ : ١٦/١٠/١٣٥٦هـ ، ذكر أن عدد الكتاتيب بالمدينة آنذاك ستة كتاتيب هي :

- ١ - كتأب الشبيخة فخرية ٢٠٠ تلميذة .
- ٢ - كتأب الشبيخة فاطمة هانم ١٧٠ تلميذة . ويطلق عليها أيضاً (فاطمة الشامية) .

(١) محادثة صفية حلمي الجمعة : ١١/٢٥/١٤٢٢هـ . مساعدتها في الكتاب ، ثم أصبحت مكانها في الكتاب .

(٢) فصول من تاريخ المدينة ، علي حافظ : ٢٤٣ .

(٣) مشافهة قريبتها : صفية عمر أيوب يوم الأحد : ١٠/٢٩/١٤٢٢هـ ، والجمعة : ١١/٢٥/١٤٢٢هـ .

- ٣ - كُتِّبَت الشَّيْخَةُ زَهْرَةُ السَّنَارِيَّةِ ٥٠ تَلْمِيذَةً .
- ٤ - كُتِّبَت الشَّيْخَةُ فَاطِمَةُ خَلِيلٍ ٤٠ تَلْمِيذَةً . يَقَعُ فِي حَارَةِ الْأَغْوَاتِ .
- ٥ - كُتِّبَت الشَّيْخَةُ سَلْمَى بِنْتُ الْحَاجِّ سَلِيمٍ ٢٦ تَلْمِيذَةً .
- ٦ - كُتِّبَت الشَّيْخَةُ أَمِينَةَ ١٥ تَلْمِيذَةً .
- فَكَانَ مَجْمُوعُ الدَّارِسَاتِ فِي هَذِهِ الْكُتَاتِيْبِ (٥٠١) تَلْمِيذَةً^(١) وَهَنَّاكَ كُتَاتِيْبٍ أُخْرَى لَمْ تَرُدْ فِي هَذَا التَّقْرِيرِ مِنْهَا :
- ١ - كُتِّبَت الشَّيْخَةُ التَّرْكِيَّةُ (مَعْمَرَةٌ) ، وَكَانَ فِي بَابِ (بَصْرِي) .
- ٢ - كُتِّبَت الشَّيْخَةُ سَلْمَةُ بِنْتُ مَبَارِكٍ ، وَكَانَ فِي حَوْشِ الرَّاعِي .
- ٣ - كُتِّبَت الشَّيْخَةُ عَائِشَةُ بَنَانِيَّةٌ ، وَكَانَ فِي السَّاحَةِ ، حَوْشِ التَّكَارِنَةِ .
- ٤ - كُتِّبَت الشَّيْخَةُ خَدِيْجَةُ النَّظِيْفَةِ ، وَكَانَ فِي حَوْشِ التَّاجُورِيِّ .
- ٥ - كُتِّبَت الشَّيْخَةُ سَلْمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ عَابِدٍ ، وَكَانَ فِي الْجَدِيْدَةِ .
- ٦ - كُتِّبَت الشَّيْخَةُ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَحْمَدِ التَّكْرُوْنِيَّةِ ، وَكَانَ فِي بَابِ الْمَجِيْدِيِّ ، رِبَاطِ عَزْتِ بَاشَا .
- ٧ - كُتِّبَت الشَّيْخَةُ زَوْجَةُ الشَّيْخِ الشَّامِيِّ ، وَكَانَ فِي زَقَاقِ الْعَاصِي ، فِي الْقَشَاشِيِّ .
- ٨ - كُتِّبَت الشَّيْخَةُ عَابِدَةٌ ، وَكَانَ فِي بَابِ الْمَجِيْدِيِّ ، بِجَوَارِ بَيْتِ الشَّاعِرِ .
- وَكَمَا اشْتَهَرَ فِي الْمَدِيْنَةِ عِدَدٌ مِنَ الْقُرَّاءِ لِكُتَابِ اللَّهِ وَالْحَافِظِيْنَ لَهُ ، كَذَلِكَ اشْتَهَرَتْ بَعْضُ النِّسَاءِ الْقَارِئَاتِ وَالْحَافِظَاتِ لِكُتَابِ اللَّهِ مِنْهُنَّ :
- ١ - الشَّيْخَةُ فَخْرِيَّةُ هَاشِمِ التَّرْكِيَّةِ .
- ٢ - الشَّيْخَةُ فَاطِمَةُ بِنْتُ خَلِيْلِ التَّكْرُوْنِيَّةِ .
- ٣ - الشَّيْخَةُ شَرْفُ عِلْمِيَّةٌ ، أَوْ شَرْفُ الْعِلْمِيِّ .
- ٤ - الشَّيْخَةُ زَيْنَبُ الْمَغْرِبِيَّةِ .
- ٥ - الشَّيْخَةُ التَّرْكِيَّةُ بِيَابَا بَصْرِي ، وَغَيْرُهُنَّ^(١) .

(١) تطوّر التعليم بالمملكة العربية السعودية ، حسن الجوادى وآخرون ، ج : ٤٩ .

- ومن المعلومات التي حصلت عليها الباحثة عن الكتاتيب النسائية في المدينة ،
أنّ هناك عدداً منها لم تذكرها المصادر مثل :
- ١ - كتّاب الشيخة رقية بنت الشيخ خليل ، وهي أخت فاطمة بنت الشيخ خليل التي تذكرها المصادر ، غير أنّ رقية أقدم منها في مهنة التدريس في الكتاتيب ، ويقع كتّاب الشيخة رقية في حارة الأغوات . وكانت فقيهة تقوم بتدريس البنات كتاب الموطأ لابن مالك مع تحفيظهن أجزاء منه ، وهو من أقدم الكتاتيب^(١)
 - ٢ - كتّاب الفقيهة مريم بنت الشيخ ألفا هاشم ، وقد درست على يد الفقيهة أمينة . ووالدها هو الشيخ ألفا هاشم من كبار العلماء في المدينة في ذلك الوقت ، وكان كتابها من أقدم الكتاتيب .
 - ٣ - كتّاب الشيخة زينب كنقي ، فتحت كتّابها في بداية الأمر في زقاق الطوال في الساحة ثم في زقاق الشجرية ، ثم انتقلت إلى زقاق الضروان ، وبعد وفاتها ذهبت الدارسات إلى كتّاب فاطمة بنت الشيخ خليل ، وهو أيضاً من أقدم الكتاتيب .
 - ٤ - كتّاب فاطمة هانم التركية ، ويقع كتّابها في باب المجيدي .
 - ٥ - كتّاب الشيخة حوا إبراهيم ، ويقع في زقاق البارود بجوار رباط السنانير بالقرب من الحرم .
 - ٦ - كتّاب الشيخة آمنة حامد ، زوجة عثمان عبد القادر ، وقد درست على يد الشيخة فاطمة بنت الشيخ خليل ، وكذلك على يد زينب كنقي ، ويقع كتّاب الشيخة آمنة في زقاق الطيار ، ثم انتقلت إلى باب المجيدي ، ثم إلى الدخل المحدود ، وهي ما تزال على قيد الحياة ، وقد التحقت بمدارس تحفيظ القرآن لتعلم التجويد ، والآن تقوم بالتدريس في الحرم النبوي الشريف .
 - ٧ - كتّاب الشيخة نفيسة نعمانة : ويقع كتابها في الساحة درست عند الخوجة هانم ، وهي ما تزال على قيد الحياة .

(١) صور من الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة ، ياسين أحمد خياري : ١١١ ، تعليم المرأة في المملكة خلال مائة عام : ١٦٤ - ١٦٥ .

(٢) مشافهة عائشة يوسف أحمد علي الأحد : ١٠/٢٩/١٤٢٢هـ ، الجمعة : ١١/١٨/١٤٢٢هـ ، وهي إحدى الدارسات .

- ٨ - كَتَّابُ الشَّيْخَةِ فَاطِمَةَ بَكْرَ مُحَمَّدَ بَرْنَائِي ، وَقَدْ دَرَسَتْ عَلَى يَدِ وَالِدِهَا الَّذِي دَرَّسَهَا الْقُرْآنَ ، وَالْفِقْهَ ، وَالتَّوْحِيدَ ، وَمِبَادِيِ الْكِتَابَةِ عَلَى الْأَلْوَاحِ وَكَانَ وَالِدُهَا يَمْلِكُ كِتَابًا لِتَدْرِيسِ الْأَوْلَادِ ، ثُمَّ فَتَحَتْ كِتَابًا خَاصًّا بِهَا . وَيَقَعُ كِتَابُهَا فِي حَارَةِ الْأَغْوَاتِ ، ثُمَّ انْتَقَلَتْ إِلَى حَارَةِ الْبِرْغَوْتِيَّةِ فِي بَابِ الْمَجِيدِيِّ ، وَأَخِيرًا عِنْدَ مَسْجِدِ الْإِجَابَةِ . تُوَفِّيَتْ سَنَةَ ١٣١٩ هـ ، وَلَهَا مِنَ الْعُمُرِ ٨٠ عَامًا تَقْرِيْبًا ، وَلَمْ تَعْقُبْ أَوْلَادًا^(١)
- ٩ - كَتَّابُ الشَّيْخَةِ زَيْنَبَ بَكْرَ بَرْنَائِي : وَيَقَعُ كِتَابُهَا فِي زَقَاقِ الْحَبْسِ ، وَفَتَحْتَهُ فِي حَوَالِي ١٣٤٠ هـ ، وَقَدْ دَرَسَتْ عِنْدَ الشَّيْخَةِ فَاطِمَةَ بِنْتِ الشَّيْخِ خَلِيلٍ .
- ١٠ - كَتَّابُ صَدِيقَةِ التَّرْكِيَّةِ ، اسْتَأْجَرَ لَهَا آلَ عَوِيْضَةَ بَيْتًا فِي الْجَدِيدَةِ أَوْ التَّاجُورِيِّ لِتَعْلِيمِ الْفَتَيَاتِ مَجَانًا .
- ١١ - كَتَّابُ الشَّيْخَةِ أَمِينَةَ عَبْدِ اللَّهِ : وَيَقَعُ كِتَابُهَا فِي بَابِ التَّمَارِ وَهِيَ مَا تَزَالُ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ .
- ١٢ - كَتَّابُ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ (عَيْشَةُ إِبْرَاهِيمَ) : وَكَانَ مَوْقِعُ الْكِتَابِ فِي بَابِ الرَّحْمَةِ بِجَوَارِ بَيْتِ عَبْدِ اللَّهِ الشَّرِيفِ ، وَبِنَاتِهَا سَعَادَ وَأَسْمَاءُ مَوْجِهَاتٍ ، وَكَانَتْ تَعْلَمُ الْقُرْآنَ ، وَالْقِرَاءَةَ ، وَالْكِتَابَةَ ، وَشَغَلَتْ الْإِبْرَةَ .
- ١٣ - كَتَّابُ صَفِيَّةِ عُمَرَ أَيُّوبَ : افْتَتَحَتْ كِتَابُهَا قَبْلَ الْمَدَارِسِ الْحُكُومِيَّةِ بِسَنَتَيْنِ تَقْرِيْبًا أَيَّ عَامِ ١٣٧٨ هـ ، وَكَانَ بَدَايَةَ فِي زَقَاقِ الطَّيَّارِ ، ثُمَّ انْتَقَلَتْ إِلَى حَارَةِ التَّمَارِ فِي مَنَازِلِ نَزِيهِ سَيِّدٍ ، دَرَسَتْ عَلَى يَدِ الْفَقِيْهَةِ فَاطِمَةَ بَكْرَ وَعَيْشَةَ بَنَانِيَّةٍ ، بَدَأَتْ التَّدْرِيسَ وَهِيَ صَغِيرَةٌ السِّنِّ ، وَلَكِنْ كَانَتْ شَخْصِيَّتَهَا قَوِيَّةً مَكْنَتَهَا مِنْ ضَبْطِ الطَّالِبَاتِ .
- وَكَانَتْ تَقُومُ بِتَدْرِيسِ الْبَنَاتِ وَالْأَوْلَادِ مَعًا ، وَمَنَاهِجَ الدِّرَاسَةِ عِنْدَهَا : الْقُرْآنَ ، وَالتَّوْحِيدَ ، وَالْفِقْهَ ، وَالْحِسَابَ ، وَتَعْلِيمَ الْخِيَاطَةِ ، وَالتَّدْبِيرَ الْمَنْزَلِيَّ . وَاسْتَمَرَّ كِتَابُهَا حَتَّى بَعْدَ افْتِتَاحِ الْمَدَارِسِ ، فَكَانَتْ الطَّالِبَاتُ اللَّوَاتِي يَخْرُجْنَ مِنْ عِنْدِهَا يَذْهَبْنَ إِلَى الْمَدَارِسِ الْحُكُومِيَّةِ ، وَيَدْخُلْنَ امْتِحَانَ

(١) مشافهة ابنة أختها عيشة سعيد بتاريخ الثلاثاء : ١٤٢٢/١١/٢٩ هـ .

مستوى ، ثم يدرسن في المرحلة المناسبة لتعليمهن ، وكانت الطالبات ينادينها بلقب أستاذة وأبلة ، كما فتحت مدرسة لمحو الأمية في أبيار علي .
وقد واصلت دراستها وتعليمها ، حتى نالت شهادة الابتدائية من المدارس الحكومية .

وممن درسن على يدها بنات عبد الفتاح ، وبنات الدمقرشاوي كما درّست بنات النعمان منازل .

ومن الصبيان : عبد المنعم وعبد الله جميل كردي ، وإبراهيم فلاته كان عدد الدارسين والدارسات يبلغ (٤٠) طالباً وطالبة تقريباً .
وهي مازالت على قيد الحياة ، وتبلغ من العمر (٥٦) عاماً ، وقد تزوجت معاذ السقا . وأولادها منه : خالد ، وعبد الفتاح ، وعبد الوهاب . ثم تزوجت بكر صحابي وخلفت منه : وداد ، وجميلة .

وتذكر أنها شاهدت مدرسة فتحت قبل المدارس الحكومية كانت تعرف بمدرسة بنات أبو عوف في الساحة ، وهن أربع فتيات قُدمن من الشام^(١)

١٤ - كُتّاب الفقيهه عيشة حمزة هوساوي زوجة محمد عمر أيوب ، ويقع في العنبرية في حوش أبو دراع ، وكانت تعلم القرآن ، والقراءة ، والكتابة وعندما افتتحت المدارس الحكومية عملت بها .

١٥ - كُتّاب الخوجة صفية عثمان حلمي : كان يقع في وقف سلطان ، في حي باب المجيدي ، ثم توقف أربع سنوات ، وهو الآن في العوالي في وقف سلطان مرزا نياز وهو جد الخوجة صفية لأمها ، وكانت بداية تعلم مع أم نعيم البخارية التي كانت تدرّس في نفس الوقف وقد اشترط عليها أن تقوم بالتدريس مجاناً للبنات بدون أخذ مقابل منهن ، وهذا شرط الواقف . وبعد أن استقلت أم نعيم بكُتّاب لها أخذت الخوجة صفية تمارس التدريس ، وقد دخلت مجال التدريس وعمرها (١٢) سنة ، وممن ساعدت في تدريبهن مع أم نعيم بنات الوقصي ، وبنات حوالة ، وبنات عبد العزيز الخريجي ، وبنات أبو الجود وبنات محمد نور كتيبي .

(١) محادثة صفية عمر أيوب ، الجمعة : ١١/٢٥/١٤٢٢ هـ ، الأحد : ٢٩/١٠/١٤٢٢ هـ .

وقد ساعدتها خالتها فاطمة سلطان في فترة من الفترات ، ثم مرضت وتوقفت عن مساعدتها .

وقد كانت الخوجة صفية تقوم بتدريس البنات إلى جانب القرآن ، الحساب والخط ، وتذكر أن طالباتها كنَّ يبلغن في فترة من الفترات ١٢٠ - ١٥٠ طالبة .

وقد تعلمت الخوجة صفية على يد والدها الفاضل الشيخ عثمان حلمي أفندي ، الذي كان مدرساً في المحمدية ، والنجاح ، والناصرية ، وأخيراً في الفهدية وهو تركي الأصل .

والخوجة صفية ما تزال على قيد الحياة ، وما زال كتَّابها مفتوحاً في العوالي حتى كتابة البحث ، فهي تستقبل النساء والأطفال ، خاصة من غير العرب من الأتراك ، والأفغان ، والبخارية ، وتعلمهم من الصباح حتى ما قبل الظهر عملاً بوصية الجد الذي أوقف جزءاً من الدار على تعليم القرآن مدى الحياة . وهي لم تتزوج حباً في العلم والتدريس .

وتذكر أن عمر الكتَّاب يصل إلى ما يقرب من ٦٢ عاماً أو أكثر^(١)

كما أضافت من معلوماتها أن هناك عدداً من الكتاتيب القديمة منها :

- ١ - كتَّاب فاطمة هانم بنت محمد أمين الأرنؤوطي ، وهي يوغسلافية الأصل مشهورة عند أهل المدينة بفاطمة هانم التركية ، تزوجت رجلاً سورياً ، ولم تعقب أولاداً ، افتتحت كتَّابها في بداية الأمر في زقاق الحبس ، ثم انتقلت في باب المجيدي في آخر الدرويشية بجوار بيت أحمد حوالة .
- ٢ - كتَّاب فاطمة هانم زوجة إسحاق أفندي ، وهي ممن تلقين معونة من الملك سعود قدرها (٢٠٠) ريال في الشهر لتطوير كتَّابها ، وتقديراً لجهودها^(٢)
- ٣ - كتَّاب الشيخة حوا محمد ، ويقع في دار الضيافة ، وقد تخرجت من كتَّاب الفقيهه زهرة ، وكانت تدرّس القرآن فقط .

(١) مشافهة الخوجة صفية في الجمعة : ١٨/١١/١٤٢٢ هـ ، الجمعة : ٢٥/١١/١٤٢٢ هـ .

(٢) المرجع السابق

- ٤ - كُتِّبَ هدى حلا حلا يقع في زقاق العاصي ، شارع محروس كانت تركز على شغل الأبرة مع القرآن .
- ٥ - كُتِّبَ حفصة حبّابة زوجة الخسنة ، ويقع في السيح في دكة الترجمان وكانت تعلم القرآن مع التركيز على شغل الأبرة .
- ٦ - كُتِّبَ شريفة البخارية زوجة عبد العزيز التويجري ، ويقع في الساحة وكانت تهتم مع تدريس القرآن بتدريس الخياطة والأشغال اليدوية .
- ٧ - كُتِّبَ محبوبة البخارية ، وهي أخت شريفة سابقة الذكر ، وقد درست البنات الخياطة والقرآن . وعندما فتحت مدارس محو الأمية درّست بها القرآن الكريم .
- ٨ - كُتِّبَ الخوجة (أم آمنة) في بيت أبو عزة في باب المجيدي
- ٩ - كُتِّبَ الصالحية : لصاحبتها الخوجة سالحة عمر عثمان فاضل مخدوم التركستاني ، زوجة الشيخ صلاح الدين شمس الدين تركستاني ، وهي من عائلة كثر في أفرادها العلماء في بلاد بخارى ، فأبوها عمر عثمان فاضل عالم جاء إلى المدينة ، ومكث فيها يعلم ويتعلم ، وكان في فترة من الفترات يقيم الأذان في الحرم المدني ، وزوجها صلاح الدين عالم أيضاً ، وقد جاءت من بخارى ، وهي تجيد العربية قراءة وكتابة وتحديثاً بالفصحى ، مع درايتها بالفقه والتوحيد والحديث ، خاصة ما يتعلق بأحكام العبادات وأحكام المرأة .
- كانت بداية افتتاح الكُتَّاب في مكة المكرمة في الجبل ، فتحته عشرة أشهر تقريباً ، وكان مكوناً من غرفتين وحوش ، ثم انتقلت إلى المدينة وفتحت الكُتَّاب في شارع الجنان في باب المجيدي ، وكان بجواره كُتَّاب الخوجة فاطمة التركية ، وكان افتتاح الكُتَّاب في عام ١٣٧٠هـ تقريباً ، أو قبله بقليل .
- واستمر الكُتَّاب مفتوحاً حتى وفاتها عام ١٤٠٤هـ تقريباً ، ويقبل الكُتَّاب الذكور حتى سن العاشرة فقط ، وتبلغ طالبات الكُتَّاب ٩٠ طالباً وطالبة .

وقد عقب الخوجة صالحة (١١) ابناً وبناتاً ، (٧) أولاد ، و (٤) بنات وقد توي في أكثرهم في حياتها ، وقد أوصت بناتها بأن لا يردن طالبة علم مهما كانت الظروف ، وما زلن يعملن بوصيتها .

وكان لها برنامج حافل في كتّابها ، حيث كانت تبدأ من الساعة صباحاً مفتحة التدريس بالقرآن الكريم ، وفي وقت الضحى تبدأ معهن دروس الفقه والتوحيد ، ثم تصلي مع الطالبات صلاة الظهر جماعة ، وبعد الصلاة تلقي عليهن قرابة نصف ساعة محاضرة دينية ، كما تقوم بتطبيق دروس العبادات عملياً ، حيث تقف ابنتها أو إحدى الطالبات في الوسط ، وتقوم بتنفيذ ما تنطق به الخوجة من كيفية الصلاة أو التشهد ، وبعدها تجتمع الطالبات على سفرة واحدة للغداء ، ثم يأخذن وقتاً للاستراحة ، أو طرح الأسئلة على الخوجة .

أمّا الكتابة فكانت اختيارية لمن كان يرغب أهلها في تعليمها إياها .

ثم تصلي العصر مع الطالبات جماعة ، ويبدأن في الانصراف .

وكان الكتّاب مجانياً سوى ما تأخذه من أجل الماء والكهرباء ، وتبلغ قيمته ربع ريال من كل طالبة في آخر كل أسبوع . فالعلم من وجهة نظرها لا يُباع .

ولم يقتصر دور الكُتَّاب على تعليم الفتيات ، بل إنها كانت تفرد وقتاً لتعليم الكبيرات قراءة القرآن وعلوم الدين .
والجميل في الأمر ، أن النساء كن يرحلن إليها من جدة ، ومكة والطائف ليتلقين العلم عنها ، وكانت تفتح لهن بيتها ليقمن فيه وكأنه سكن داخلي مجاني - حتى ينتهين من تعلم ما يردن ، وقد مكثت إحداهن لديها سنة ونصف ، إلى أن حفظت على يدها القرآن الكريم بأكمله ، وتلقت دروساً في الفقه ، والتوحيد وكان اسمها زينب والدة محمد جان .

وممن تعلمن على يدها من النساء الكبيرات أم إسماعيل عالم ، ومحبوبة مهدي ، ومنهن من ظلت تتعلم عشر سنوات تقريباً .
ومن طالباتها أيضاً بنات الشيخ حامد مرزا ، وبنات البرزنجي ، وبنات حسن نجيب ، وبنات الطيب ، وبنات المدني ، وخديجة رضوان وأخواتها وبناتها .

وكانت تساعدها في التدريس ابنتها أمامة صلاح الدين ، التي تعلمت على يد أمها ، ثم أكملت تعلمها للقرآن وأحكامه في مركز حماد الذي افتتحته الأستاذة الفاضلة سهيلة زين العابدين حماد ، ثم درّست في مدرسة (دار الرضوان) لتحفيظ القرآن الكريم . وهي ما تزال تسير على وصية والدتها في تعليم القرآن للراغبات ولو طلبنها في بيوتهن^(١)

١٠ - كُتَّاب آي ملا : وتعني بالبخاري كبيرة المعلمات أو فقيهة ، وهي عابدة نظام الدين مخدوم ، زوجة الشيخ أمين الله مخدوم ، ويقع كُتَّابها في شارع أبي ذر بجوار مسجد البخاري ، في زقاق الدكتور سعيد . وافتتح الكُتَّاب في الخمسينات تقريباً ، وكانت تدرّس فيه البنين والبنات ، ويبلغ عدد الدارسين والدارسات ما بين ٥٠ - ٦٠ دارساً ودارسة .

(١) مشافهة ابنتها أمامة صلاح الدين شمس الدين بتاريخ الثلاثاء : ٢٢/١١/١٤٢٢هـ .

وكان برنامج الكُتّاب يبدأ للصغار من الثامنة صباحاً حتى بعد صلاة الظهر. ومن بعد العصر يبدأ تدريس الكبار حتى صلاة المغرب ، وكأنه فصل لمحو الأمية ، وكانت الملا تدرس الطالبات الهجاء على القاعدة البغدادية .

وقد درّست آي ملا القرآن ، واللغة العربية ، وعلوم الدين ، في بخارى على يد والدها الذي كان عالماً كبيراً في بلاده ، وبعد وفاة زوجها ، نذرت أن تجاور الحرم المدني الشريف ، وتفتح فيه كتّاباً لتعليم القرآن ، وقدمت معها أولادها الصغار وفتحت الكتّاب منذ قدومها في حوالي عام ١٣٦٥هـ ، ولها من الأولاد (٥) ، ومن البنات (٢) . وهم : كرامة الله ، وعناية الله ، وهديّة الله ، ونعمة الله ، وأمان الله .
أما البنات فهما : حفيظة وعظيمة .

وقد استمر كتّابها مفتوحاً حتى وفاتها عام ١٤١٨هـ^(١)

١١ - كتّاب زينب التكرونية في زقاق الحبس^(٢)

١٢ - كتّاب أم بتول في حوش النورة^(٣) . وهي والدة الفقيهة بتول الهوسة .

١٣ - كتّاب ناجية حجازي في زقاق الطيّار^(٤)

كما كانت هناك أماكن خاصة لتعليم البنات فنون الخياطة والتطريز يذهب إليها الكثيرات ممن أتممن تعليمهن في الكتاتيب ، مثل :

ملكة فضل إلهي في الشونة ، دارين ناصرية في المناخة ، وهي زوجة هاني هاشم ، هند موسية في التاجوري ، زوجة القارة ، رسمية حكيم في قباء^(٥)

وقد ذكرت المصادر كتّاب زهرة السنارية ، وفي الحقيقة أن اسمها ولقبها زهرة محمد إبراهيم فلاتة ، وفرق بين السناري ، والفلاتة .

وهي زوجة الشيخ حسن تاج الدين ، وكان لديه كتّاب يدرس الأولاد في الصباح ، ويعطي دروساً في العصر في الحرم ، ويقع كتّاب زهرة فلاتة في زقاق البدور بجوار مدرسة العلوم الشرعية .

وقد تعلمت على يد الشيخة أمينة فلاتة ، وقد علمها زوجها الحديث فبرعت فيه ، وألّمت كتّاباً في الحديث ، كما كان يُرجع إليها لتصحيح رواية الحديث

(١) مشافهة ابنتها عظيمة ، الأحد : ١٤٢٢/١١/٢٠هـ .

(٢) مقابلة إحدى الدراسات حياة علوي ، بتاريخ الإثنين : ١٤٢٢/١١/٢٨هـ .

(٣) مشافهة صفية عمر أيوب ، الجمعة : ١٤٢٢/١١/٢٥هـ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) مقابلة نائلة سلامة ، الاثنين : ١٤٢٢/١١/٢٨هـ .

إذا اختلف الشيوخ في الرواية . وكانت تدرس طالباتها ابن عاشر ، وتجعلهن يحفظن متوناً منه .

وقد عَقَّبَت ابناً وبناتاًهما : عبد الكريم حسن تاج الدين - متقاعد - والابنة حليلة^(١)

وممن درسن على يدها بنات الجزائري ، وبنات الدنديني ، وبنات عمران ، وبنات الباقي ، وبنات أبو خضير ، وبنات السيد محمود أحمد حبيب .

ومن طالباتها النجيبات : السيدة عائشة يوسف أحمد علي ، التي درست على يد الشيخة رقية بنت الشيخ خليل ، وأختها فاطمة ، نصف القرآن تقريباً حفظاً من الفاتحة إلى الكهف ، ثم درست من الكهف إلى البقرة نظراً عند الشيخة زهرة ، وكان عمرها (١٠) سنوات ، كما قرأت عندها ابن عاشر ، وعند الشيخة رقية بنت الشيخ خليل الموطأ ، وتقلت بين عددٍ من الكتاتيب ، وعملت عريفة عند الشيخة رقية ، وزهرة وكذلك عند بناية .

ولم تسمح لها ظروفها بفتح كتاب ، وإنما كانت تقوم بتدريس من حولها ومن حبها في العلم ، أنها دخلت محو الأمية وحصلت على جائزة تفوق .

ثم دخلت مدارس تحفيظ القرآن لتتعلم التجويد ، وبعد إتقانها له عملت قرابة ثمانية أشهر في مدرسة دار الإحسان لتحفيظ القرآن ، وهي حالياً تقوم بتعليم النساء في أوقات ذهابها إلى الحرم .

وهي على علم وخبرة بجميع الأشغال اليدوية ، والخياطة ، والتطريز وقامت بتعليمها للفتيات ، وهي ما تزال بفضل من الله على قيد الحياة .

وقد أجريت معها العديد من المقابلات التلفزيونية والإذاعية في المناسبات الوطنية^(٢)

بداية التعليم الأهلي للبنات في المدينة المنورة

(١) مشافهة السيدة عائشة يوسف أحمد علي في الأحد : ٢٩/١٠/١٤٢٢ هـ والجمعة : ١٨/١١/١٤٢٢ هـ ، إحدى

الدارسات ، والعريفات .

(٢) المرجع السابق .

يطلق التعليم الأهلي على تلك المدارس التي تقوم بجهود الأهالي أفراداً أو جماعات ، أو تقوم بها مؤسسات غير حكومية ، رغبة في أداء نوع التعليم ، أو التثقيف ، أو الإعداد لمهنة ما^(١) .

(١) التعليم في عهد الملك عبد العزيز ، محمد السلطان : ١٤٨ - ١٤٩ .

ولقد كان للتعليم الأهلي الحديث في المملكة - والذي سبق التعليم الحكومي في الظهور - الأثر البالغ في تشكيل رواد الثقافة السعودية المعاصرة فأثبت جدارته ، واستطاع أن يؤدي دوره ، فأولته الإدارة العامة للمعارف منذ إنشائها عام ١٣٤٤هـ عنايتها ، فصدر أول نظام للمدارس الأهلية بعد مضي سنة من إنشاء مديرية المعارف ، وجعل له ميزانية خاصة لدعمه وتشجيعه^(١) .
ولقد تطور تعليم البنات الأهلي في عهد الملك عبد العزيز تطوراً ملحوظاً ؛ فألى جانب وجود الكتاتيب التي زاد انتشارها ، واستمرت حتى افتتاح المدارس الحكومية ، كان هناك تطوير عملي للتعليم النسائي ، حيث مرّ التعليم الأهلي في عهده بمرحلتين :

(١) التعليم الأهلي شبه المنظم :

يخلط كثير من الباحثين بين نظام الكتاتيب ، وبين المدارس الأهلية شبه النظامية ، فتارة يذكرونها على أنها من الكتاتيب ، وتارة على أنها مدارس ، ولعل هذا الخلط ناتج من عدم تحديد مفهوم كل منهما .
فالكتاتيب سبق تعريفها على أنها المكان الذي تتلقى فيه الفتيات قراءة القرآن ، وبعض مبادئ القراءة والكتابة على الألواح ، بغرض (فك الخط) مع تعلم بعض العلوم الدينية . أمّا الكتابة والحساب فلا تلتزم به جميع الكتاتيب ، وإنما يختلف من كتاب لآخر ، ويرتبط أيضاً بحسب رغبة الأهالي .
وفي المراحل المتقدمة للكتاتيب ، أدخل في الحجاز في معظمها تعليم الأشغال اليدوية والتطريز .

وإذا اعتمدنا التعريف الذي يفرق بين الكتاب والمكتب ، بأن المكتب أكثر تطوراً من الكتاب في حجمه ومناهجه وعدد طالباته ، فيكون بذلك هو المرحلة السابقة للمدارس شبه النظامية ، ومنه تطورت ، كما يعطينا رحابة في تعريف المدارس الأهلية شبه المنظمة : فهي عبارة عن بعض الكتاتيب أو المكاتب التي طور نظام التعليم فيها ، وأدخلت تحت إشراف المديرية العامة التي كانت تمدّها بالمعونات العينية والمادية ، وأصبح التعليم فيها على السبورة وبالطباشير

(١) التعليم الأهلي في المدينة المنورة من ١٣٤٤هـ - ١٤٠٨هـ دراسة تاريخية وصفية ، دخيل الله عبد الله الحيدري : ٣٥ .

بدلاً من اللوح الخشبي وأخذت بمناهج وزارة المعارف . غير أن نظامها الإداري والفني لم يكتمل .

(٢) أما المدارس الأهلية النظامية :

فهي تلك المدارس التي افتتحها الأهالي ، مع تنظيم مناهجها ، وتحديث موادها كدراسة بعض المواد الحديثة كالحساب والعلوم والمواد الأساسية الشرعية كالفقه والتوحيد والحديث ، والمواد اللغوية كالمطالعة والإملاء والخط ، إضافة إلى اكتمال جهازها الإداري والفني نوعاً ما ، من وجود مديرة ، وعدد من المدرسات .

ويبدو أن هذا التقسيم والتحديد فيه - أيضاً - نوع من الصعوبة ؛ لأن كثيراً من المدارس لم تصلنا معلومات كافية عن مناهجها ومراحل تعليمها ، وعن أجهزتها الفنية والإدارية ، ولكن حسبنا الاجتهاد في ذلك ، غير أن هذا التعريف يمكننا من التفريق بين الكتاتيب والمدارس .

كما يلاحظ أن هناك مدارس ، كانت في بدايتها شبه نظامية ثم تطورت وأصبحت مدارس نظامية مكتملة الآلة .

تذكر كثير من المصادر أن بالمدينة عدداً من المدارس الأهلية للبنات منها :

١ - المدرسة الفخرية : أسست عام ١٣٣٠هـ بزقاق الحبس ، ومؤسسها هي فخرية هانم .

٢ - مدرسة تهذيب الأخلاق : أسستها فخرية هانم في الشونة سنة ١٣٤٨هـ .

٣ - مدرسة فاطمة هانم : أسستها فاطمة هانم في الساحة سنة ١٣٥٠هـ .

٤ - مدرسة فاطمة التركية : أسستها فاطمة التركية بزقاق الحبس سنة ١٣٥٣هـ .

٥ - مدرسة الفوز والنجاح : أسستها زينب مغربية في العنبرية سنة ١٣٥٨هـ .

٦ - مدرسة المقاصد الإسلامية : أسستها الشريفة شرف علمية بدار جونة سنة ١٣٦٥هـ .

٧ - مدرسة الهداية الإسلامية : أسستها أم نعيم البخارية ، بباب المجيدي حوالي سنة ١٣٦٦هـ .

٨ - مدرسة بتول التكرورية^(١): أسستها أم بتول بحوش النورة حوالي سنة ١٣٦٦هـ^(٢).

(١) في بعض المصادر التكرورية ، وأعتقد أنه هو اللقب الصحيح . وذلك حسب ما أدلت به - أيضاً - الكثيرات ممن شافهتهن الباحثة من نساء المدينة اللواتي عاصرن ، أو سمعن بالكتاب وصاحبتة .

(٢) فصول من تاريخ المدينة ، عثمان حافظ : ٢٤٣ .

وتذكر مصادر أخرى أن ما سبق هي كتاتيب ، ويظهر لي أن جميعها كانت كتاتيب في بداية الأمر ، وظلت كتاتيب الرائدات كما هي مثل كتاب فخرية هانم بزقاق الحبس وفخرية هانم بالشونة ، وكتاب فاطمة هانم في الساحة وفاطمة التركية بزقاق الساحة .

ولكن تؤكد المصادر الشفهية أن كتاب فخرية هانم في الشونة سنة ١٣٤٨هـ ، وكتاب فاطمة هانم الشامية في الساحة كانا يختلفان عن الكتاتيب الموجودة في ذلك الوقت ، من حيث منهجها ؛ إذ كانا يسيران وفق مناهج طلاب المدارس ، من حيث تدريس الحساب ، والخط ، والإملاء ، والإنشاء ، والفقه ، والتوحيد .

وذلك ما حدا ببعضهن إلى إطلاق اسم مكتب عليهما ، والمكتب في رأيهن أعلى مستوى من الكتاب ، وقد بينا ذلك سابقاً^(١)

وعلى هذا فإن ما تحول من هذه الكتاتيب إلى مدارس شبه نظامية هي كتاتيب الجيل الثاني ، بعد مضي فترة على كونها كتاتيب : مثل : مدرسة الفوز والنجاح لمؤسستها زينب مغربية ، ومدرسة المقاصد الإسلامية : أسستها الشريفة شرف علمية ، حيث طورت هاتان المعلمتان من شأن كتاتيبهما ، وكانتا تأخذان معونات من الدولة عينية ومادية ، وسارتا على مناهج وزارة المعارف ، وتطور التعليم إلى الكتابة على السبورة ، وجلوس الطالبات على المقاعد الدراسية ، وتنوعت المناهج ، ولكن ما زال الجهاز الفني والإداري غير مكتمل وعند افتتاح الرئاسة دمجت هاتان المدرستان مع مدارس الرئاسة ، وكرّمت المعلمتان بقبولهما في العمل بمدارس البنات الرسمية .

٩ - غير أن هناك مدرسة لم أجدها في كثير من المصادر ، مع أنه يمكن عدها ثاني مدرسة أهلية شبه نظامية في المدينة المنورة ، وهي مدرسة التربوية الإسلامية التي افتتحت عام ١٣٧٩هـ ، قبل افتتاح المدارس الحكومية ، فهي لم تكن كتاباً حوّل إلى مدرسة كبقية المدارس المذكورة في المصادر .
وصاحبة المدرسة هي المريبة الفاضلة سعاد أحمد سليمان المولودة في القاهرة سنة ١٩١٧هـ ، وقد حصلت على الشهادة الابتدائية من مصر ، سنة

(١) انظر ص ١٧٤- ١٧٩ من البحث .

١٩٣٢هـ وأكملت دراستها حتى السنة الأولى ثانوي ، ثم دخلت معهد الثقافة الشعبية بالقاهرة ، الشعبة النسوية وتخرجت منه .
 ثم كتب لها الله الانتقال إلى المدينة المنورة مع زوجها السيد الفاضل محمد عبد المعطي بهجت ، الذي عُيِّن مديراً للزراعة بالمدينة المنورة في ذلك الوقت .
 وقد سجلت السيدة سعاد في مذكراتها التي كتبتها بخط يدها ، نبذة عن التعليم في المدينة قبل افتتاح الرئاسة العامة ، وذكرت قصة افتتاح مدرستها قالت فيها : (... في المدينة المنورة منذ ٤٥ سنة تقريباً حين حضرت لها لم يكن فيها مدارس للبنات غير بعض الكتاتيب ، ففكرت أن هذه البلدة العظيمة التي فيها قبر خير الأنام ﷺ ، لا بد أن تتعلم البنات أمور دينهن وديناهن ، ونويت وتوكلت على الله أن أفتح مدرسة لتعليمهن وإرشادهن إلى ما فيه الخير في الدنيا والآخرة ، وفي سنة ١٣٧٩هـ ، اخترت فكرة فتح مدرسة ابتدائية للبنات ، وفعلاً وفقني الله لذلك ، وكانت أول مدرسة للبنات في ذلك الوقت ، وأرسلت لوزارة المعارف بنيتي على ذلك ، ولم يكن في هذا الوقت يوجد رئاسة لتعليم البنات فوافقت وزارة المعارف ، وأرسلت لي بعض المناهج من كتب قواعد ، وحساب وهندسة ، ودين ، وغير ذلك ، وأضفت على هذا تعليم التدبير المنزلي .

وبحثت عن سكن للمدرسة ، وكان ذلك بعد محرم ، لأن استئجار المنازل كان من أول السنة ، وبعد جهد ، وجدت منزلاً قديماً كبيراً ذا حوش واسع لفسحة البنات ، وهو منزل (المفتي) في قباء الطالع ، وفكرت وبحثت عن اسم لهذه المدرسة التي كان كل أملي فيها تربية البنات تربية فاضلة ، فاخترت لها اسم (مدرسة التربية الإسلامية) وفي أول يوم من استئجاري للمنزل ، ذهبت بعدما أصلحت فيه بعض الإصلاحات ، وكتبت على سبورة أنه - اليوم - تم بحمد الله فتح هذه المدرسة ، فمن يرغب في الالتحاق بها ، فإني موجودة من الساعة ٧ صباحاً حتى الثانية ظهراً ، ولم أكد أضع السبورة أمام المنزل ، حتى تهافتوا علينا وكان الإقبال كثيراً جداً - بدون مبالغه - وصل العدد حوالي (١٥٠) فتاة مع أمهاتهن وفي اليوم الثاني ... وهكذا بلغ العدد أكثر من (٢٠٠) طالبة ، وكنت أمتحنهن فمن وجدته يليق بالسنة الأولى ، ومن في ثانية ، وهكذا ، وكانت في ذلك الوقت ماليتي

لا تسمح أن أشتري للمدرسة معدات من كراسي وخلافه وفرشت الأرض بالسجاجيد ، وكنا نجلس عليها ، وكنت أطلب من الطالبات أن يحضرن إليّ في الفسحة والإجازات للزيادة في العلم والمعرفة بدون مقابل ، طلباً في تعليمهن حتى إنه بعد سنتين من فتحي للمدرسة أخذن شهادة الابتدائية ، وكنّ من أوائل المتحנות في المملكة ، وكانت المصاريف في ذلك الوقت رمزية ، فجعلت للفقراء مجاناً ، وللروضة (٥) ريالاً وأولى وثانية (١٠) ريالاً ، وثالثة ورابعة (١٥) ريالاً ، وخامسة وسادسة (٢٠) ريالاً . أدعو الله أن يكتب ذلك في حسناتي والله المستعان .

وفي العام الثاني اشترت - باصاً - لنقل التلميذات اللاتي مساكنهن بعيدة عن المدرسة ، وكنت أذهب أنا لأحضر التلميذات في الباص ، وأشكر الله على ما يسره لي في خدمة بنات المدينة وقد حضر لنا الرئيس العام ، فأعجب بالمدرسة ، قال : إن هذه المدرسة فيها خير كثير . وفي العام الثاني ، استأجرت مدرسة في المشرفية عمارة ثلاثة أدوار ، وأحضرت مناظرة وكراسي للطالبات وكان فيها حوش كبير للفسحة ، وزادت الطالبات والحمد لله والشكر لله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وكان بجوار المدرسة يسكن فضيلة الشيخ ابن باز ، وقد دخلت بناته المدرسة ، وكنّ من خير الطالبات - حفظهن الله ، ووفق الجميع - وكنت اشترط عند دخول الطالبات أن يلبسن زياً مخصوصاً ساتراً ، زياً إسلامياً - ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء - والآن أصبح من طالباتي الموجهات ، والدكتورات والمدرسات الناجحات - بإذن الله - ومديرات للمدارس ، وذلك لا للفخر ولكن لأن أشكر الله على ما وفقني الله - والله المستعان .

وفي الختام أرجو من بناتي أن يدعين لي بحسن الخاتمة ، وأن ألقى الله في هذه البقعة المباركة وأدفن في البقيع ، لأكون بجوار رسول الله ﷺ .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سعاد أحمد محمد سليمان^(١)

(١) من كتابة خطية بيدها حصلت عليها منها بتاريخ ١٨/١١/١٤٢٢هـ ، مع وثائق شخصية لها ، كوثيقة الشهادة الابتدائية ، ووثيقة معهد الثقافة الشعبية بالقاهرة . إضافة إلى كثير من التعميمات والرسائل ، التي كانت تردها من الرئاسة العامة ، في بداية افتتاح المدرسة .

ومن مقابلة شخصية مع ذويها ، ومشافهتها شخصياً ، أفادت أن مدرسة شرف علمية ، وزينب مغربلية تزامنتا مع افتتاح مدرستها ، وقبل ذلك كانتا كتاتيب ، ولا يمكن أن نعدهما قبل تاريخ ١٣٧٩هـ مدارس . كما ذكرت أن شرف علمية قد أحضرت مُدرسة واحدة لمساعدتها هي : خيرية الزهاوي عراقية الأصل .

على أن أول مدرسة نظامية افتتحت قبلها هي مدرسة (أمهات المؤمنين الأهلية) عام ١٣٧٧هـ ، وقد قامت مجموعة من الأهالي ، ومن طلبة الجامعة الإسلامية بجمع التبرعات لفتح مدرسة للبنات ، فكانت هذه المدرسة ، وقد قام بتأسيسها يحيى عبد العزيز الأيوبي الذي أصبح مديراً لتعليم البنات بالمنطقة الغربية في ذلك الوقت ، وكانت أول مديرة لها حرمة الفاضلة عبيدة كمال الأيوبي .

وأضافت أن مدرستها كانت تتلقى معونة من الرئاسة العامة لمدارس البنات ، وكانت تأتيها التعاميم والتوجيهات منها ، إلى جانب زيارة المفتشات للمدرسة وتقييمهن لها - وقد أطلعني على بعض تلك التعاميم - .
ومن إضافاتها أيضاً : أن بناتها الأربع (وفاء - سلوى - عفاف - نبيلة) كن يساعدها في التدريس ؛ إذ كنَّ حاصلات على الشهادة الابتدائية ، وكانت كبراهن (وفاء) تبلغ من العمر (١٦) سنة ، وتشرف على الصف الثالث ، وتليها سلوى وتشرف على الصف الثاني ، وعفاف على الصف الأول ، أمّا صفراهن (نبيلة) فكانت تشرف على الروضة وتبلغ من العمر في ذلك الوقت (١٢) سنة . كما استعانت لفترة من الفترات بـ (زكية ناظر) ؛ لتدريس القرآن ، وكانت تشتهر مدرستها باسم (مدرسة أم وفا) .
وبعد مرور سنتين على المدرسة اختارتها الرئاسة العامة لتدريس المواد الدينية في معهد إعداد المعلمات .

كما اختيرت عام ١٣٨٥هـ ؛ لتصحيح مادة الدين بالمعهد بالاشتراك مع الأستاذة سهام كياي . واستمرت مدرسة (التربية الإسلامية) ما يقارب ٦ سنوات تقريباً ، ثم أغلقت . والمربية الفاضلة ما زالت على قيد الحياة -

متعها الله بالصحة والعافية - ولها من البنات أربع ، هنّ المذكورات سابقاً ، وقد أكملن تعليمهن الجامعي ما عدا كبراهن وفاء فقد حصلت على الثانوية فقط ، ولها من الذكور اثنان هما : محمد فداء الدين بهجت ، وهو أستاذ دكتور قسم إدارة واقتصاد في جامعة الملك عبد العزيز بجدة ، وهو الآن - متقاعد -

والابن الثاني : عبد الله عبد المعطي بهجت دكتور في الهندسة المدنية (إدارة وتخطيط موارد المياه) ، وقد حصل على تقاعد مبكر . وتفتخر أن من بين طالباتها في معهد إعداد المعلمات المتوسط الكاتبة الفاضلة سهيلة زين العابدين حماد ، والكاتبة الفاضلة نورة الخريجي ، ومن الدارسات في مدرستها بنات عويضة والدكتورة نجلاء كردي ، ومن أبرز طالباتها فوزية مهلهل . وعن الطالبات في ذلك الوقت تذكر أنهن كنّ في غاية الأدب والاحترام وعندهن توقير وحب للمعلمة^(١)

١٠ - وهناك مدرسة لم تذكرها المصادر - أيضاً - وهي مدرسة بنات أبو عوف في الساحة ، وكان للمنزل الذي تقع فيه المدرسة بابان باب على الحماطة ، وباب على حوش الباشا .

وعائلة أبو عوف هذه من أصل سعودي ، قد تربت بناتها في الأردن وتعلمن بها ، وهنّ : زينب وزبيدة ، ورقية ، وخديجة .

وقد رغبت زينب وزبيدة في فتح مدرسة للبنات . فترقبت زبيدة زيارة الملك سعود للمدينة المنورة ، وقابلته في المناخة ، وطلبت منه الإذن بفتح المدرسة وقدمت له الشهادات الثبوتية ، فأذن لها ، تشجيعاً لتعليم المرأة . وتم فتح المدرسة وكان التعليم فيها صباحاً وبعد الظهر . وقد خُصص للطالبات لبس زي خاص .

وقد تزوجت زينب من الشيخ محمد عمر توفيق ، وتزوجت زبيدة باخشب^(٢)

(١) تمت مشافهتها يوم الخميس : ١٧/١١/١٤٢٢ هـ . الجمعة : ١٨/١١/١٤٢٢ هـ .

(٢) مشافهة عائشة الوقيصي يوم الثلاثاء : ٢٩/١١/١٤٢٢ هـ إحدى الدارسات بها في فترة ما بعد الظهر .

الخاتمة

النتائج والتوصيات

تعد الكتاتيب النسائية في المدينة المنورة ، من أوسع الكتاتيب انتشاراً في المملكة ، وهي على قدر رفيع من التطور والرقى . وقد دلّ انتشار هذه الكتاتيب في المدينة على أن أهالي المدينة كنّ على وعي تام بضرورة تعليم المرأة ، فهم لم يعارضوا تعليم المرأة القرآن ومبادئ الدين ، وما ينفعها في دينها ودنياها . غير أن بعض الأهالي كانوا يمانعون في تعليم الفتاة الكتابة ومبادئ الحساب ، فهي في اعتقادهم من اختصاص الذكور ، وأعتقد أن هذه الفكرة ربما كانت أكثر شيوعاً في بداية نشأة الكتاتيب ، أما عندما طفقت الكتاتيب في التطور ، فإنها أخذت في الاندثار ، مما جعل الكتاتيب نواة لظهور المدارس الأهلية النسائية ، ثم المدارس الحكومية . وقد ذكرت المربية الفاضلة / سعاد أحمد سليمان ، أنها بمجرد أن وضعت لوحة على باب مدرستها ، تعلن فيها افتتاح المدرسة وبدء التسجيل ، أقبل عليها الأهالي إقبالاً كبيراً ، حتى وصل عدد من سجلن في أول يوم (١٥٠) فتاة . بلغ عدد الكتاتيب النسائية في المدينة المنورة بحسب ما توصلت إليه الباحثة (٤٧) كتاباً ، توصلت الباحثة إلى (٢٨) منها عن طريق المقابلات ، ولم تذكرها المصادر من قبل .

كما قامت الباحثة بتصحيح بعض المعلومات عن خوجات الكتاتيب كانت قد أوردتها مصادر سابقة ، اعتماداً على ما توافر لديها من مصادر شفوية ، وكذلك استطاعت الباحثة عرض سيرة بعض رائدات الكتاتيب ممن حصلت على سيرتهن الذاتية ، عن طريق الخوجة نفسها إن كانت على قيد الحياة ، مثل الخوجة صفية عثمان حلمي ، أو بواسطة أبنائهن ، أو إحدى قريباتهن أو الدارسات لديهن .

إن من الكتاتيب النسائية بالمدينة المنورة ، من كان على قدر كبير من التطور ، وقوة العطاء العلمي ، مثل كتّاب فاطمة هانم التي لم تقتصر في

تدريسها على قراءة القرآن ، بل كانت تعلم الفتيات الكتابة والإملاء والخط ، والخطابة ، وقرض الشعر .

وكذلك كان كُتَّاب الفقيهة زهرة محمد إبراهيم فلاته ، التي تذكرها المصادر باسم (زهرة السنارية) - وقد أشرت إلى خطأ هذا اللقب - ، وكانت عاملة في الحديث يرجع إليها عند الاختلاف في الرواية ، وقد كانت تدرّس طالباتها ابن عاشر ، وتجعلن يحفظن متوناً منه ، وكذلك كانت الشيخة رقية بنت الشيخ خليل تدرّس طالباتها من موطأ الإمام مالك .

هناك بعض الكتاتيب النسائية يدرس بها بعض الصبية الصغار .

انتشرت في المدينة كتاتيب تعلم الفتيات بجانب القرآن أشغال الإبرة والتطريز ، وأشغال الصوف ، كما كانت بعض الكتاتيب متخصصة في المهارات اليدوية ، تستقبل الطالبات بعد تخرجهن من الكتاتيب العلمية التي تحفظهن القرآن ومبادئ الكتابة .

إن معظم الخوجات والفقيهات في المدينة المنورة كن من جنسيات غير عربية ، مثل : الهند ، تركيا ، بخاري ، وهذه الشعوب تشتهر بإتقانها للمهارات اليدوية ، كذلك كانت بعض الخوجات من بلاد أفريقيا وخاصة الفلاته .

تذكر بعض المصادر الشفهية أنّ كُتَّاب فخرية هانم في الشونة ، وكتاب فاطمة هانم الشامية في الساحة ، كانا يختلفان عن الكتاتيب الموجودة في ذلك الوقت من حيث منهجهما ، إذ كانا يسيران وفق مناهج طلاب المدارس ، من حيث تدريس الحساب والخط والإملاء والإنشاء والفقّه ، والتوحيد ، وذلك ما حدا ببعض الدراسات إلى إطلاق اسم مكتب عليهما ، والمكتب في رأيهن أعلى مستوى من الكُتَّاب .

فتحت بعض الكتاتيب فصولاً لتدريس الكبيرات ، فكانت بمثابة مؤسسة لمحو الأمية .

ومن مظاهر تقدّم وتطور الكتاتيب النسائية في المدينة المنورة أنه كانت بعض النسوة الكبيرات في السن يقدمن إليها من جدة ومكة والطائف ، وذلك مثل كتاب الصالحية (الخوجة صالحة عمر عثمان فاضل مخدوم) بل إنها

كانت تفتح لهن دارها كسكن داخلي مجاني ، فأقام بعضهن لديها ما يقارب السنة والنصف حتى ختمن القرآن الكريم .
لقد شجعت الحكومة السعودية خوجات الكتاتيب في المدينة ، وصرفت لهن مكافآت شهرية من أجل تحفيزهن على تطوير كتاتيبهن .
كذلك كرّمت الحكومة رائدات الكتاتيب ، فسمحت لهن بالعمل في المدارس الحكومية عند افتتاحها .

أما بالنسبة للمدارس الأهلية للبنات في المدينة المنورة ، فيظهر أنه لم يكن في المدينة مدارس أهلية للبنات بمعنى المدرسة النظامي ، من وجود مراحل تعليمية متعددة ، ودراسة مواد حديثة ، كالحساب ، والمواد الأساسية الشرعية واللغوية ، وفق مناهج محددة ، ووجود إدارة من مديرة ومساعدات ، وعدد من المدرسات ، غير أن بعض الباحثين يطلقون تجاوزاً على الكتاتيب عموماً اسم مدرسة ، مثل كُتاب فخرية هانم ، وفاطمة هانم وفاطمة التركية ، فتارة يسمونها كتاتيب ، وتارة يسمونها مدارس .

ويبدو أنه بالإمكان إطلاق اسم كتاتيب على كتاتيب الرائدات السابقات ، أما ما قامت بافتتاحه الدارسات من الجيل الثاني من كتاتيب ، فإنه بالإمكان أن نطلق عليها مدارس شبه نظامية خاصة في مراحلها المتأخرة ، عندما أخذت تتلقى معونات من الحكومة السعودية ، متمثلة في معونات مادية وعينية من سبورات وطباشير ومقاعد دراسة ، مع انتظام مناهجها مع نظام إدارة التعليم للبنين ، وهذه المدارس هي :

- (١) مدرسة الفوز والنجاح .
- (٢) مدرسة المقاصد الإسلامية .
- (٣) مدرسة الهداية الإسلامية .
- (٤) مدرسة بتول التكرونية .

ولعل أول مدرسة بمعناها النظامي تقريباً هي مدرسة (أمهات المؤمنين الأهلية) لمؤسسها يحيى عبد العزيز الأيوبي ، ومديرتها عبيدة كمال الأيوبي ، وقد أسست سنة ١٣٧٧هـ ، غير أن هناك مدرسة لم أجدها في كثير من المصادر ، مع أنه يمكن عدّها ثاني مدرسة أهلية نظامية في المدينة المنورة ، وهي

مدرسة التربية الإسلامية التي افتتحت سنة ١٣٧٩هـ ، فهي لم تكن كتاباً حول إلى المدرسة ، كبقية المدارس المذكورة في المصادر ، ومثلها كانت سابقتها ، وصاحبة المدرسة هي المريية الفاضلة سعاد أحمد سليمان .

ونستطيع أن نستخلص من نظام طرق ومناهج الكتاتيب النسائية بالمدينة المنورة ، كثيراً من الدروس التربوية التي نحن بحاجة ماسة إليها اليوم ، ومن ذلك :

- كانت الكتاتيب النسائية ، تتبع نظام اليوم المتكامل الذي يسمح للطالبة بالمشي طوال اليوم في بيت الخوجة - بحسب الرغبة - تكتسب الخبرة والنظام والسلوك من معلمتها ، إضافة إلى أن احتكاك الطالبات ببعضهن كل ذلك الوقت يكسبهن المقدرة على العمل الجماعي ، ويعلمهن الجرأة على الاختلاط والتعامل مع الأقران .

- كانت طالبات بعض الكتاتيب ، يقمن بتسميع الجزء المقرر حفظه لبعضهن ، أو تسميعه لأنفسهن مراراً وتكراراً قبل عرضه على الخوجة ، وهذا ما يسمى لدينا اليوم ، بالتعليم الذاتي ، حيث يعتمد الطالب على قدراته ، ويعمل على تطويرها ذاتياً .

إن الاحتفالات الجماعية لختم القرآن الكريم ، كانت تحفز الطالبة على التعليم ؛ لما تشعر به من اهتمام ، وفرحة الأهالي والأصدقاء بنجاحها ، مما يدفعها للتقدم والعطاء . وطالبات اليوم ، بحاجة ماسة لمثل هذه الاحتفالات الهادفة ، التي هي بمثابة تطبيق عملي لما درسن ، ففيها تلقى القصائد ، والخطب ، والأناشيد ، التي تبجل العلم ، وتدعو إلى احترام المعلمة .

وفي آخر هذا البحث توصي الباحثة ، بضرورة تكثيف الجهود والتوسع في الدراسات العلمية في مجال تعليم المرأة عامة وفي المدينة المنورة خاصة ، فلا شك أن هناك كثيراً من الكتاتيب لم تتوصل إليها الباحثة . فالمدينة المنورة كانت مشهورة بحب أهلها للتعليم ، وإقبالهم عليه ، ففيها برز كثير من العلماء والشعراء والأدباء ، وفي ظل هذه النهضة العلمية لا بد أن يكون للمرأة نصيبها الذي لم تكشفه الدراسات بعد ، فقد اعتمد الدارسون على ما ذكر في المصادر التي سبقتهم ، وركنوا إلى ما فيها من معلومات ، فأخذ اللاحق عن السابق من غير تحديثٍ أو تطوير للمعلومة .

المصادر والمراجع

- (١) الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني ، (د . ط) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، (د . ت) .
- (٢) إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة ، إبراهيم فوزان الفوزان ، ط ١ ، (د . ن) ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٠١ هـ .
- (٣) تاريخ البلاد العربية السعودية ، الدولة السعودية الأولى ، منير العجلاني ، ط ٢ ، دار السبل للنشر والتوزيع ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٣ هـ .
- (٤) التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، عبد الباسط بدر ، ط ١ ، (د . ن) ، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٤ هـ .
- (٥) تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران ، أحمد السباعي ، ط ٤ ، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٩ هـ .
- (٦) تطوير التعليم بالمملكة العربية السعودية (التعليم الابتدائي) ، حسن مصطفى الجوادي وآخرون ، ط ١ ، دار الأصفهاني للطباعة ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٦ هـ .
- (٧) التعليم الأهلي في المدينة المنورة من ١٣٤٤ هـ إلى ١٤٠٨ هـ ، دراسة تاريخية وصفية ، دخيل الله عبد الله الحيدري ، نادي المدينة المنورة الأدبي ، دار العلم للطباعة والنشر ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٢ هـ .
- (٨) التعليم في عهد الملك عبد العزيز ، محمد بن عبد الله السلطان ، (د . ط) ، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٩ هـ .
- (٩) التعليم في المدينة المنورة من العام الهجري الأول إلى ١٤١٢ هـ (دراسة تاريخية وصفية تحليلية) ناجي محمد حسن الأنصاري ، ط ١ ، دار المنارة ، القاهرة ، مصر ، ١٤١٤ هـ .

- (١٠) التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني ، محمد عبد الرحمن الشامخ ، ط١ (د . ن) ، الرياض ، ١٣٩٣ هـ .
- (١١) تعليم المرأة في المملكة العربية السعودية خلال مائة عام ١٣١٩ - ١٤١٩ هـ (د . ط) ، الرئاسة العامة لتعليم البنات ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٩ هـ .
- (١٢) الرحلة الحجازية ، محمد لبيب البتوني ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ١٤١٥ هـ .
- (١٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة ، محمد ناصر الدين الألباني ، ط٢ ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ .
- (١٤) السيرة النبوية الصحيحة ، أكرم ضياء العمري ، ط٦ ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٥ هـ .
- (١٥) صحيح البخاري ، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، (د . ط) دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٠ هـ .
- (١٦) صحيح الجامع الصغير وزيادته ، محمد ناصر الدين الألباني ، ط٣ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، ١٤٠٨ هـ .
- (١٧) صحيح سنن ابن ماجه ، محمد ناصر الدين الألباني ، ط٣ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ .
- (١٨) صفحات من تاريخ الإبداع الأدبي بالمدينة المنورة ، عاصم حمدان ، ط١ ، شركة المدينة للطباعة والنشر ، جدة ، ١٤٢٢ هـ .
- (١٩) علماء نجد خلال ثمانية قرون ، عبد الله بن عبد الرحمن البسام ، ط٢ ، دار العصمة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٩ هـ .
- (٢٠) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، ابن سيد الناس ، (د . ط) ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، (د . ت) .
- (٢١) فصول من تاريخ المدينة المنورة ، علي حافظ ، ط٣ ، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٧ هـ .

- (٢٢) الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما ، عبد اللطيف عبد الله بن دهيش ، ط٣ ، دار خضر ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٨ هـ .
- (٢٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم ، وبذيله التلخيص للذهبي (د . ط) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، (د . ت) .
- (٢٤) مرآة الحرمين ، إبراهيم رفعت باشا ، (د . ط) مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ، جمهورية مصر العربية ، (د . ت) .
- (٢٥) مسند الإمام أحمد ، (د . ط) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، (د . ت) .
- (٢٦) نساء شهيرات من نجد ، دلال بنت مخلد الحربي ، (د . ط) ، دار الملك عبد العزيز ، صدر بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية ، ١٤١٩ هـ .

الروايات الشفاهية (سماعاً وكتابةً ومقابلةً)

- ١- أمامة صلاح الدين شمس الدين : الثلاثاء : ٢٢/١١/١٤٢٢هـ (والدتها صاحبة كتاب).
الدين
- ٢- أممة أحمد علمي : الثلاثاء : ٢٢/١١/١٤٢٢هـ (دراسة وأختها صاحبة كتاب).
حياة علوي
- ٣- حياة علوي : الاثنين : ٢٨/١١/١٤٢٢هـ (دارسة)
- ٤- زكية حسن عثمان فلاته : الأحد : ٢٩/١١/١٤٢٢هـ (دارسة)
- ٥- زكية شاه : الأحد : ٢٠/١١/١٤٢٢هـ (دارسة)
- ٦- زكية محروس : الأحد : ٢٩/١٠/١٤٢٢هـ (دارسة)
- ٧- زينب حمزة عبد رب الرسول : الاثنين : ٢١ ، والثلاثاء : ٢٢/١١/١٤٢٢هـ (دارسة)
- ٨- سعاد أحمد محمود سليمان : الخميس : ١٧/١١/١٤٢٢هـ (صاحبة مدرسة أهلية)
- ٩- سلوى طه محمود مغريل : الأحد : ٢٠/١١/١٤٢٢هـ (والدتها صاحبة كتاب).
الجمعة : ١٨/١١/١٤٢٢هـ ، الجمعة : ٢٥/١١/١٤٢٢هـ
(صاحبة كتاب).
- ١٠- صفية عثمان حلمي : الجمعة : ٢٩/١٠/١٤٢٢هـ (صاحبة كتاب)
- ١١- صفية عمر أيوب : الثلاثاء : ٢٩/١١/١٤٢٢هـ (دارسة)
- ١٢- عائشة الوقيصي : الأحد : ٢٦/١٠/١٤٢٢هـ (دارسة)
- ١٣- عائشة يوسف أحمد علي : الأحد : ٢٠/١١/١٤٢٢هـ (والدتها صاحبة كتاب).
الثلاثاء : ٢٩/١١/١٤٢٢هـ (خالتها صاحبة كتاب).
الاثنين : ٢٨/١١/١٤٢٢هـ (دارسة).
- ١٤- عظيمية أمين الله مخدوم : الجمعة : ١٨/١١/١٤٢٢هـ (إرشاد إلى صاحبة كتاب)
- ١٥- عيشة سعيد : الاثنين : ٢٨/١١/١٤٢٢هـ (دارسة)
- ١٦- عيشة نعمان : الجمعة : ١٨/١١/١٤٢٢هـ (إرشاد إلى صاحبة كتاب)
- ١٧- مائدة نور الدين فهمي : الاثنين : ٢٨/١١/١٤٢٢هـ (دارسة)
- ١٨- مرضية نعمان : الأحد : ٢٩/١١/١٤٢٢هـ (دارسة)
- ١٩- مريم حسن عثمان فلاته : الاثنين : ٢٨/١١/١٤٢٢هـ (إرشاد إلى صاحبة كتاب).
- ٢٠- نائلة سلامة : الجمعة : ١٨/١١/١٤٢٢هـ (إرشاد إلى صاحبة كتاب).
- ٢١- وفاء الطيب